

چوریچ شهادہ

مہاجر بریبان

ترجمہ و تقدیم

فتحی العشری



دارالمعارف بمطرا

L'Emigré de Brisbane

Par

Georges Chéhadé

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. ع. ٢٠٠٠

مہاجر بریسبان

جورج شحاده

عودة إلى أحضان الطبيعة

بعد أن اقتنع المشرفون على مسرح « الكوميدي فرانسيز » العريق باتجاه العبث أو اللامعقول اختتمت الفرقة موسم ٦٥ - ٦٦ بمسرحية « الجوع والعطش » « لأوجين يونسكو » ثم افتتحت موسم ٦٧ - ٦٨ بأحدث مسرحيات الكاتب السكندري المولد ، البيروني النشأة ، الباريسي الإقامة وممارسة الحياة ، جورج شحاده .

وقبل أن نتكلم عن جورج شحاده يجدر بنا أن نعرف شيئاً عن « مهاجر لبنان » مولداً ونشأة وإقامة ، ثم نعرف شيئاً آخر عن فنه المسرحي .

ولد جورج شحاده بالإسكندرية عام ١٩٠٧ وتلقى تعليمه الابتدائي فيها . ثم رحل عنها إلى بيروت حيث أتم دراسته الثانوية والجامعية بكلية الحقوق . لم يشتغل بالمحاماة ولكنه تفرس بالأدب الفرنسي وانغمس فيه فبدأ يكتب الشعر السريالي الذي انتهى به إلى الكتابة للمسرح .

وأثارت أولى مسرحيات شحاده عندما عرضت على المسرح لأول مرة عام ١٩٥١ معركة حامية بين نقاد الصحف والمجلات من ناحية ، والشعراء

السرياليين وعلى رأسهم أندريه بریتون ورينيه شار وهنرى ميشو وسان جون برس من الناحية الأخرى . . وانتهت المعركة بالموافقة على استمرار عرض المسرحية . . فظلت تعرض فترة أطول مما كان مقدرًا لها من قبل .

أما المسرحية فاسمها « السيد بوبل » Monsieur Bob'le . والسيد بوبل شاعر يحب الترحال ، ويبرر ترحاله بأنه رجل أعمال ، يعيش مع أهالي قريته الذين يحبونه ويحترمونه ويلتزمون بتعاليمه التي ضمنها كتاباً صغيراً وزعه على أهالي القرية . وهو يشيع في القرية دفء الحكمة ونبض الحياة . . ويستعد بوبل للرحيل في الفصل الأول ، يعاونه في ذلك خادمه أرنول . ويأتي أهالي القرية لوداعه . . وقبل أن يغادر البيت ينفرد طويلاً بكلبه الصديق « إكسلسيور » يستأذنه في الرحيل .

وفي الفصل الثاني نرى القرية في انتظار شاعرها الغائب وهي سعيدة هانئة بتلقى أخباره وأخبار عودته . . أما بوبل فكان يقيم بإحدى الجزر يسعى إلى اكتشاف معادنها الثمينة المخبوءة في باطن الأرض . . ولكنه سرعان ما يسأم الحياة في جوف الوحدة وقلب العزلة فيقرر العودة إلى القرية .

ويحمله الفصل الثالث على ظهر إحدى السفن الكبيرة عبر المحيط ولكن مرض القلب يداهمه في عرض البحر فيضطر قبطان السفينة إلى إنزاله عند أول شاطئ . . ويودع السيد بوبل بأحد المستشفيات بينما البحارة والركاب يصرون على انتظاره عند الشاطئ حتى يشفى من مرضه

ويعود إليهم. . وهكذا يطلقون صفارات الباخرة لتحيته بين الحين والحين ..
لكن السيد بوبل يطلق أنفاسه في النهاية حتى يسمح للسفينة بأن تستأنف
رحلتها وتغادر الميناء .

ومع مطلع عام ١٩٥٤ قدم المخرج العبقرى جان - لوى بارو مسرحية
شعاده الثانية «أمسية الأمثال» La Soirée des Proverbes فاقترب اسم شعاده
بكتاب الطليعة أو بمسرح العبث أو اللامعقول ولكنه احتل مكانة خاصة
بين هؤلاء الكتاب الطليعيين لأنه كان الوحيد من بينهم الذى يكتب للمسرح
الشعري منضمّاً بذلك إلى كل من جان جيرودو وبول كلوديل وجان
كوكتو . .

و «أمسية الأمثال» تحكى مغامرات شاب اسمه أرجنرجورج يحاول
الانضمام إلى سهرة يقيمها شيوخ المدينة ، الذين يسترجعون شبابهم باستدعاء
ذكريات الماضى . ولكنه يحس بالفارق الزمنى والفكرى بينه وبينهم وكذلك
يحسون هم بهذا الفارق فيصبح الانسجام بينهم أمراً مستحيلاً . . ويفقد
إلى المكان صياد يدعى أليكس يمزقه اليأس ويستبد به الملل فيجد في
أرجنرجورج ، الذى يشبهه تماماً ، صورة لشبابه الضائع فيقتله برصاص
بندقيته لأنه على العكس من كل هؤلاء الشيوخ لا يريد أن يسترجع شبابيه
ولا يرغب فى استدعاء ذكريات الماضى . . إنه لا يؤمن بالحياة ويرى فيها
شيئاً خالياً من المعنى . .

وفي نهاية موسم ١٩٥٦ عاد جان - لوى بارو فقدم مسرحية شعاده

الثالثة « حكاية فاسكو » L'histoire de Vasco على مسرح « ريزيدنز » بزوريخ .

وكما أثارت مسرحية « السيد بوبل » زوبعة بين النقاد أثارت هذه المسرحية زوبعة أخرى ولكن بين الساسة ورجال الأمن ، فقد قيل في طلب مصادرتها إنها « صرخة احتجاج على حرب الجزائر » . .

وفاسكو حلاق لا همّ له في الحياة إلا أن يبرع في مهنته ويصبح علماً مشهوراً في دنيا الخلاقة . . ولكنه رجل عادي ، والعادي من الرجال لا يصلح إلا لأن يكون دمية يحركها غير العادي كما يشاء . . وفعلاً يختاره الجنرال ميرادور ليقوم بتوصيل رسالة إلى كتيبة من جنوده محاصرة داخل أرض الأعداء . . إن فاسكو خائف ومذعور ، إذ لا عهد له بمثل هذه المهام الحربية ولا مثيل له بأرض الميدان، فهنته هي الخلاقة ولا يعرف لنفسه ميداناً سواها، ولكن ميرادور مطمئن إلى نجاح المهمة بفضل هذا الخوف الذي يمزق فاسكو ، فالخوف سلاح فعال يقظ في مثل هذه المهام الخطيرة . ويعبر فاسكو حد النار ويصل إلى جنود ميرادور ، ويعود بعض الجنود يعلنون نجاح المهمة وتنفيذ الرسالة التي وصلتهم عن طريق فاسكو . . فاسكو الذي قتل وهو في طريق العودة .

وحول جثته الملفوفة في ملاءة بيضاء تجلس مارجريت تبكي حبيبها الذي لا ذنب له في الحرب ولا جريرة .

وفي عام ١٩٥٩ كتب شحاته مسرحيته الرابعة « أزهار البنفسج »
 Les Violettes فقدمت في العام التالي على مسرح بوخوم بألمانيا ثم طافت
 بمسارح ستوكهولم وأمستردام وبودابست وبرودواي وأخيراً وبعد ست
 سنوات من ظهورها بألمانيا قدمها المخرج رولان مونو على خشبة مسرح
 البورجونى الإقليمى بفرنسا .

و« أزهار البنفسج » مسرحية رمزية يتكلم فيها المؤلف بلغة الزهور . .
 وهى كوميديا ذرية ، إن صح هذا التعبير ، أو هى كوميدية غنائية ،
 كما يقول مخرجها الفرنسى ، أو كوميديا بالأغاني كما يقول المؤلف نفسه .
 وعلى الرغم من اتفاق الجميع على أنها كوميديا وليست شيئاً آخر
 إلا أنها تعبر فى النهاية تعبيراً صارخاً عن أزمة الإنسان الأوربى المعاصر
 ومستقبله المؤسى . . ذلك المستقبل الذى تهدده القنبلة الذرية وتورقه الحرب
 النووية . .

يرتفع الستار عن البعد الرابع فى المجال الكونى وهو الزمن . . فهى هى ذى
 ساعة الحائط تعمل وفق مزاجها فتصدر دقات مختلفة الأصوات وغير
 منتظمة . . هذه الساعة تنتمى إلى مدام بورمييه صاحبة بنسيون « أزهار
 البنفسج » . . وهى امرأة جشعة غريبة الأطوار ، تحب المال ولكنها تخطئ
 فى الحساب ودائماً يجرىء الخطأ فى صالحها . . وهى مصدر نكد لربائنها
 الكوام ، فقد اعتادت أن تقص عليهم قصص الغرق والحرائق والزلازل
 والبراكين خاصة فى أثناء تناول الطعام . . فيضطرب الجميع تحت تأثير

هذه الحوادث المفزعة أن يتركوا المائدة لتنفرد هي بها كل مرة .
 ويفد إلى البنسيون العالم الكبير « السير كوفان » لمواصلة بحوثه الذرية
 في جو هادئ بعيداً عن صحب المدينة . . فيفاجأ بصخب أشد عنفاً . .
 إن كوفان يحاول استخلاص الطاقة النووية الكامنة في أوراق زهرة البنفسج .
 وما إن يعلم نزلاء البنسيون بموضوع هذه البحوث حتى ينقلب المكان إلى
 بركان يوشك أن ينفجر .

ولا يخفف من حدة هذا التوتر المشتعل غير بيريت ، تلك الفتاة
 الرائعة الجمال ، الممتلئة حيوية وشباباً ، المختلفة تماماً عن عمها مدام
 بورمييه . . إنها تغرق المكان بالحب والسعادة . . وهي مخطوبة « شفويًا »
 لثلاثة من نزلاء البنسيون في مقدمتهم فرنانجو ، البارون الثرى الذى يشبه
 نفسه برومولوس العظيم . .

وتحاول العمّة أن توفق بين ابنة أخيها وبين البارون، ولكن الفتاة تميل
 إلى العالم « المفلس » المولع بزهر البنفسج وما يحتويه هذا الزهر من
 طاقة نووية . . وأخيراً يهرب العالم مع الفتاة إلى الريف بعد أن يترك وصيته
 العلمية وأسرار بحوثه الذرية للبارون . .

ونتيجة لجهل البارون بكميائية هذه البحوث يسود السم الذرى العالم
 كله ويتحول الناس إلى معادن لا حركة فيها ولا حياة . .
 وبهذا تنتهى القصة الفلسفية أو الكوميديا العلمية التى تشبه إلى حد
 بعيد لوحة L'Embarquement A Citere « الإبحار إلى سيتار » للمصور

المعروف فاتو Wateau ، كما تشبه قصيدة الشاعر الملعون بودلير Baudelaire والتي تحمل نفس اسم لوحة فاتو . . تشبيهما معاً ، إذا اعتبرنا اللوحة هي الجانب الوردى في المسرحية والقصيدة هي جانبها المعتم !

وكتب جورج شحاده مسرحية خامسة بعنوان « الرحيل » Le voyage هي المسرحية الوحيدة التي لم تقدم على المسرح حتى الآن . . والمسرحية تدور حوادثها في مدينة بريستول بإنجلترا عام ١٨٥٠ أيام كان الناس يستخدمون المراكب الشراعية ولا يعرفون شيئاً اسمه البخار فضلاً عن الكهرباء .

تبدأ المسرحية في محل لبيع الأرزار يملكه رجل اسمه كريستوف ، ولا نشهد كريستوف هذا إلا وهو يعد العدة للرحيل ، ولكن حادثاً مفاجئاً يطرأ له فيغير مجرى حياته ، لقد كانت له فيما مضى مغامرة عاطفية أدت به إلى ارتكاب جريمة قتل وهاموذا الآن مقبوض عليه والشاهد على جريمته بيغاء . . هذه البيغاء هي البطل الرئيسي في هذه المسرحية . . وهي بيغاء عجيبة تصفق بجناحها وتتكلم اللغة البرتغالية . .

وعلى الرغم من أن هذه ليست هي المرة الأولى التي يشرك فيها شحاده الحيوانات مع أشخاص مسرحياته ، ففي « حكاية فاسكو » غربان وفي « زهرة البنفسج » دجاج وفي « السيد بوبل » وفي « مهاجر بريسان » كما سنرى ، حصان ، إلا أن البيغاء هنا لها دور كبير في تغيير مجرى الأحداث . .

ويتميز أسلوب جورج شحاده وبخاصة في هذه المسرحية بالبساطة القائمة على العمق المساندة للتعبير الرشيق . .

ولكن قبل أن نسترسل في إيجاز مزايا شحاده الأسلوبية واستخراج قيم فنه المسرحي نقدم خلال السطور التالية عرضاً سريعاً لأحداث مسرحياته « مهاجر بريسبان » التي افتتح بها مسرح « الكوميدي فرانسيز » موسم ٦٧ - ٦٨ .

مهاجر بريسبان أم مهاجر لبنان !

قدمت هذه المسرحية لأول مرة على مسرح « الريفيدنز » بميونخ في يناير عام ١٩٦٥ بعد أن ترجمها إلى الألمانية كل من إيفون وهربرت مير، وأخرجها وقام بدور المهاجر كارت ميزل، ووضع موسيقاها مارك لوثر. والمسرحية تدور أحداثها في سنة ١٩٢٥ بقرية بلفنتو إحدى قرى جزيرة صقلية حيث يصل في أثناء الليل مهاجر ينشد العودة إلى بلده . . يقفه الحوذي الوحيد في القرية والذي ينشغل عن زبائنه بالتحدث إلى « كوكو » حصانه الذي يجر العربة . . ولذلك لا نسمع صوت المهاجر على الإطلاق طوال المشهد الأول . . وكذلك لا نسمعه فيما بعد . . ففي المشهد الثاني بعد أن يطلع النهار يجتمع العمدة وسكرتيه لدعوة أهل القرية للتعرف على جثة رجل وجد ميتاً في الساحة الكبيرة . . وبعد أن يعلق السكرتير صورة الرجل على الشجرة الضخمة يدعو نساء القرية أولاً لمشاهدة الصورة ويختار في البداية أجمل ثلاث من النساء ، ربما كن

على علاقة في شبابهن بهذا الرجل . . وعندما يدركن مقصد السكرتير يثرن عليه ويعنفنه أشنع تعنيف . .

ويستدعى العمدة بعد ذلك كلا من السنيور سكارامللا وبيكالوجا وباربى أزواج النساء الثلاث . . ولكن بنيفيكو البواب يطلع الرجال الثلاثة على سر استدعاء العمدة لهم ، فالعمدة يعتقد أن الرجل الميت كان على علاقة بزوجة واحد منهم وأن هذه العلاقة أدت إلى إنجاب طفل غير شرعى ، وأن الرجل واسمه جالار ماعاد إلا ليرى ابنه ، ولكنه مات بالسكتة القلبية فور وصوله . . وهنا يثور الرجال الثلاثة لكرامتهم ويتوعدون السكرتير الذى أهان زوجاتهم . . وما إن يصل السكرتير حتى يهددوه ويدخلوا معه في عراك ، ولكن السكرتير ، لكى ينقذ نفسه ، يكشف لهم عن السر الذى يسكتهم جميعاً : لقد عثر مع المهاجر الميت على كيس كبير مليء بالنقود . . وقرر العمدة أن يعطى المبلغ لابن هذا الرجل إذا ما ظهر . .

وهنا يتجه الرجال الثلاثة إلى زوجاتهم لمناقشة الأمر . . فترى أولاً بيكالوجا وزوجته روزا . . إنه يشك فيها ويحاول أن يجبرها على الاعتراف بعلاقتها القديمة بهذا المهاجر . . وقبل أن يتحدث النقاش ويصل إلى درجة الغليان تستطيع روزا أن تهز قلب زوجها الثائر لكرامته فتذكره بابنته الغائب وبعفتها التى هى حديث الجميع . .

ثم ترى بعد ذلك سكارامللا وزوجته لورا . . إنه يشك فيها هو الآخر

ويتمهما بأن لها علاقة سابقة بالقتيل الثرى نتج عنها هذا الصبي الذى كان يعتقد حتى الآن أنه ابنه الشرعى ، ويفترق الزوجان فى النهاية بعد خلاف لا ينهى .

وأخيراً نشاهد باربى وزوجته ماريا . . إن هذا اللقاء الثالث يختلف عن سابقه . . فباربى بدلا من أن يعنف زوجته كما فعل صديقه ، يحاول أن يقنعها بالاشتراك معه فى لعبة قدرة . . هذه اللعبة القدرة تتمثل فى أن يذهباً معاً إلى العمدة ويعترفا أمامه بأن أحدهما هو ابن جالار الثرى . . وذلك لكى يفوزا بالمبلغ الكبير الذى تركه الرجل . . ولكن ماريا تنزعج لهذه الفكرة الدنيئة وتحاول أن ترفضها فى بادئ الأمر ، ولكن زوجها يتوسل إليها ويصر على ذلك ، وأمام هذا التوسل وذلك الإصرار تصبح ماريا بأعلى صوتها رغبة منها فى أن تفضح لعبته أمام الناس . . غير أن الزوج خجلا من موقفه وخشية من الفضيحة ينتزع سكيناً حادة ويغمدها فى صدر زوجته التى تسقط صريعة فى الحال . . وطوال هذا المشهد يكون بيكالوجا مختفياً وراء الشجرة يسمع كل ما يجرى ويرى كل ما يدور . . ولكنه لا يظهر مطلقاً حتى بعد وقوع الحادث . .

وإمعاناً من باربى فى أداء دوره حتى يحصل على المال وحتى تخف عقوبة جريمته يدعو العمدة والسكرتير وأهل القرية جميعاً ليشاهدوا زوجته القتيلة . . ثم يتظاهر أمامهم بأنه قتلها ليثار لكرامته ويمسح العار الذى

ألحقته به بعد أن باعت جسدها للمهاجر الثرى وأنجبت منه طفلاً كان يعتقد أنه ابنه الشرعى .

وهنا يلعب أهل القرية « تلك الزوجة الخائنة » ويحمدون « للزوج الشريف » شجاعته وشهامته ، وينظر إليه المسنون من رجال القرية على أنه « قديس » لا بد من حمايته والدفاع عنه .

ويذهب العمدة إلى باربى ناصحاً إياه بأن يسلم نفسه للبوليس قبل أن يقبض عليه ويعتبره هارباً . . . ويتبأ باربى للذهاب إلى مقر البوليس ولكنه يتوقف برهة لوداع صديقيه سكارامللا وبيكالوجا . . أما الأول ، فلأنه لا يعرف الحقيقة ، يودعه بجمرة ، وأما الثانى ، فلأنه يعرف الحقيقة لا يكتفى بالألا يودعه، ولكنه يلحق به وقد قرر أن يخلص بلفنتو من شرفه الزائف وأن يأخذ بثأر ماريا المسكينة ، ضحية هذا الرجل الحقير . .

وفى المشهد الأخير يصل إلى القرية مهاجر جديد يقبله ذلك الحوذى العجوز الذى ينسى زبائنه لانشغاله الدائم بحصانه « كوكو » فيجىء بهم جميعاً إلى هذه القرية الجميلة « بلفنتو » حتى وإن لم تكن هى القرية التى يودون الذهاب إليها . . وهكذا نعرف أن جيف جالار المهاجر الأول القادم من بريسبان فى أقاصى أستراليا لم يكن يقصد بلفنتو ولكنه طلب إلى الحوذى أن يوصله إلى كورليتو قرينته الأصلية . . فجاء به إلى بلفنتو حيث مات غريباً وحيث تسبب فى قتل امرأة بريئة وفى جريمة أخرى على وشك الوقوع .

أما المهاجر الحديد فما إن يصل إلى بلفتو حتى يدرك أنها ليست
قريته فيطلب من الحوذي أن يوصله على الفور إلى بلكريدى أو يعود به
مرة أخرى من حيث جاء .

ويسدل الستار على هذه المسرحية الطريفة التي تتكون من تسع
لوحات يحتوي بعضها على مشاهد تخضع للمفهوم الكلاسيكى بالنسبة
إلى دخول الشخصيات وخروجها . . كما تحتوى إحدى اللوحات على مشهد
يستمد رؤيته من مسرح بيراندللو الذى يمزج الحلم بالواقع فى موقف
درامى واحد . . هو مشهد الصغيرة آنا ، الملاك الطاهر الذى لا يستطيع
شيئاً وسط هذا العالم المليء بالشر والتناقض واللامعقول !

ولنعد الآن إلى أسلوب شحاده وإلى فنه المسرحى .

عودة إلى المسرح الشعرى :

بعد أن أسدل الستار على المسرح الشعرى فى فرنسا بموت كل من
جان جيرودو Giraudou وبول كلوديل Claudel وجان كوكتو Cocteau
وفد إلى باريس كاتب من الوطن العربى يحاول أن يرفع الستار مرة أخرى
عن المسرح الفرنسى وقد عاد إليه صفاؤه وشعره بعد أن ذهب به كل من
كامو Camus وسارتر Sartre بعيداً فى طريق التحليل الذهنى ، وذهب به
كتاب العبث أو اللامعقول بعيداً جداً فى طريق التحليل النفسى والتحليل
اللغوى .

ومن هنا أصبح لشحاده أسلوبه المسرحي الخاص وأصبح لأسلوبه دور هام في تاريخ المسرح الفرنسي المعاصر .

يقول موريس إسكاند M. Escande الفنان القديم ومدير عام «الكوميدي فرانسيز» الحالي : « إن شحاده كاتب رقيق وشاعر غاية في العذوبة . . فيه دفء كدفء شمس الشرق وفيه لبنان بلده الأصلي الذي يجمع بين الروح العربية والجدد أو الشكل الأوربي . . فشحاده يقدم في مسرحه ذلك المضمون العربي المغلف بإطار أوربي . . وهذا يرجع إلى أصلاته العربية وحياته الدائمة في فرنسا كما يرجع إلى ثقافته العربية الواسعة . . إنه الآن أحد أعلام المسرح الفرنسي المعاصر » . .

ولكن أسلوب شحاده لم يمر بمرحلتين شكليتين كما يتبادر إلى الذهن ، فهو لم ينتقل من الشعر إلى المسرح ولكنه نقل شعره إلى المسرح ، ذلك لأنه لا يعتقد في مسرح ناجح ويكون خالياً من الشعر وإنما المسرح الناجح بحق هو المسرح الشعري . . وفي رأيه أنه لا يوجد شعر يقف هكذا وحده كالرجل المعلق في الفضاء وإنما على الشعر أن يخرج من قوقعته ويتجاوز إطاره ليحل في شيء . . في قصة ، في رواية ، في مسرحية ، ذلك لأنه إذا كان الشعر هو روح التجربة الفنية فلا بد للروح من أن تحل في جسد حتى يكتسب الاثنان معاً وجوداً ومعنى .

ولما كان المسرح هو أكثر الأشكال الفنية تعبيراً عن الحياة نفسها بكل ما تنطوي عليه من فرح وألم ، من هزل وأسى ، من ضعة وعظمة ،

فهو بالتالى أكثر الأشكال صلاحية لاستقبال لغة الشعر . . ومسرحة شحاده هو مسرح « اللغة الشاعرة » أكثر من مسرح « الصورة الشعرية » لأن الكلمات عنده هى لبنات المسرح الأساسية ولأن كل كلمة عنده لها حياتها الدرامية الخاصة . .

واللغة الشاعرة فى رأى شحاده هى تلك اللغة التى تفجر الظهر والبراءة والنقاء والمثل العليا من ينابيع الحياة وتلمس بها قلوب البشر . . تلك القلوب التى تحجرت وتصلبت تحت وطأة الحضارة التكنولوجية وزيف المجتمع الآلى وزحام المدن الصناعية بعيداً عن صفاء الطبيعة فى الليل الوديع وزرقة العصافير فوق أوراق الشجر وخرير المياه فى النهر الهادئ . . بعيداً عن الريف الخالم وأرضه المترامية الأطراف التى تسبح فى ضوء النجوم وتغرق فى خضرة تتألاً مع مطلع الفجر وحتى ساعة الغروب . . بعيداً عن سمرة البحر وزرقة السماء وهذا العالم الفطرى كعذراء فاتنة تحلم بالحلم وتحيا له . .

ومن كانت تلك هى رؤيته فإن عالمه لا بد أن يكون عالماً غريباً عن هذا العصر . . عالماً تتوطد فيه أواصر الصداقة والألفة بين الإنسان والحيوان طالما أن الإنسان لم يعد يأنس إلى أخيه الإنسان . . إنها فى صميمها دعوة للعودة إلى أحضان الطبيعة ، تلك العودة التى نادى بها روسو فى القرن التاسع عشر حتى قيل أن تتعقد الحضارة كل هذا التعقيد .
ولذلك كان من الطبيعى أن تدور أحداث مسرحيات شحاده فى

الهواء الطلق وسط المساحات الشاسعة وبين أحضان الطبيعة : فالسيد بوبل ينتقل من هدوء القرية إلى سكون الجزيرة وينتقل بينهما عبر البحر العميق . . وأمسية الأمثال تقام فوق قمة جبل شاهق يسمى « الماسات الأربع » . . وفاسكو يقوم بمغامرته عبر الأراضي المكشوفة التي يحتلها الأعداء . . وكوفان الذي يهرب من صحب المدينة ويجيء إلى بنسيون « أزهار البنفسج » النائي يعود فيهرب منه بصحبة الفتاة إلى الريف . . وحتى كريستوفر يستعد لمغادرة متجره والرحيل إلى بلد بعيد . . أما مهاجر بريسبان فيترك هذه القرية متجهاً إلى قرية كورليتو ولكنه يموت في قرية أخرى غير قريته ، هي قرية بلفنتو التابعة بجزيرة صقلية الوديدة الحاملة .

ولذلك أيضاً كان من التلقائي أن تقام ديكورات هذه المسرحيات في الجزر والبحار والموانئ والحدائق والحقول بعيداً عن الغرف المغلقة والبنائات الشاهقة والشوارع المزدهمة والمركبات المكتظة .

ثم كان من المنطقي بعد ذلك أن تتمتع شخصيات شحادة بطيبة وتواضع وعفوية أهل الريف . . تلك الشخصيات التي تكتسب صفة الواقعية رغم شاعريتها والتي تحصل على شهادات ميلادها وهي على المسرح فتضاف إلى نسبة كثافة السكان في العالم . . والتي تحتفظ في الوقت نفسه بتفرداها فتظل عالقة بأذهان الجمهور بعد أن تختفي وراء الكواليس ويسدل ستار المسرح وتضاء أضواء الصالة . .

ولأن شحاده قد ترك وطنه واستقر به المقام في وطن غريب ، نلاحظ

أن معظم أبطاله يهاجرون من بلادهم ويموتون في بلاد غريبة . . فالسيد بوبل ترك قريته ومات في جزيرة نائية. . . وفاسكو مات بعيداً في أرض الأعداء . . وأرجنجنورج قتل فوق قمة جبل « الماسات الأربع » الشاهق. . ومهاجر بريسبان مات بالسكتة القلبية في قرية غريبة جاءها عن طريق الخطأ . .

إنها دائماً « مأساة الغربة والاعتراب » . . ١ . .

شحاده بين الالتزام واللامعقول :

الواقع أن جورج شحاده ينتمى إلى جيل الطليعيين من كتاب المسرح الفرنسى المعاصر ولهذا فهو لا ينتمى بالضرورة إلى كتاب العبث أو اللامعقول. . فمصرحه يختلف عن مسرح الإنسان الضائع عند بيكيت Beckett وعن مسرح الإنسان اللاديني عند جينيه Genet وعن مسرح الإنسان الملحد عند سالاكرو Salacrou وعن مسرح الفراغ الوجدانى عند أرابال Arrabal وعن مسرح اللغة العقيم عند يونسكو Ionesco وعن مسرح الوحدة والانقسام عند أداموف Adamov وعن مسرح الموت والعفن عند أوديرتى Audiberty . . .

وشحاده يختلف عن كل هؤلاء في أن مسرحه يشبه إلى حد بعيد مسرح الطهر والنقاء الذى تلقاه عند جان أنوى Jean Anouilh ، وإن كان يتميز عنه بأنه « دعوة للعودة إلى أحضان الطبيعة » والحياة بأسلوب أهل الريف . . ذلك الأسلوب العفوى الصادق والبسيط .

ولكن هل يمكننا أن نعتبر جورج شحاده كاتباً ملتزماً ؟ !
 يقول شحادة : « إن العمل الفني ، أى عمل فني وكل عمل فني ،
 لابد أن يحتوي على فكرة . . هذه الفكرة لابد أن ترمز إلى شئ . . .
 ومع هذا فإنني أعترف بأنني لست كاتباً أخلاقياً ، ولكنني أنشد الشعر واللهو
 والمرح » .

وعلى الرغم من هذا القول ، قول الشاعر ، فإننا دائماً ما نعثر في
 مسرحياته على موضوعات هامة تشغل أذهان الناس في عصرنا الحديث
 وإن كانت تسبح في جو شاعري وتعالج بطريقة شاعرية . .

إن شحاده وإن كان لا ينتمي إلى العصر الذي يكتب عنه (١٨٥٠ :
 الرحيل ، ١٩٠٠ : زهرة البنفسج ، ١٩٢٥ : مهاجر بريسان) إلا أنه
 ينتمي إلى العصر الذي يكتب فيه وينفعل بأحداثه ويعبر عنه أصدق
 تعبير . . يعبر عنه بشكل أو بآخر ولكنه على أية حال الشكل الخاص به
 هو وحده . . وأعنى به الشكل الشعري والشعوري في وقت واحد .

فتحى العشري



مهاجر بريسبان
مسرحية في تسع لوحات

تأليف الكاتب اللبناني

جورج شحاده

ترجمة وتقديم

فتحى العشرى

مهاجر بريسبان :

عرضت للمرة الأولى بميونخ في ١٢ يناير عام ١٩٦٥ على مسرح
الريزیدنس ، عن ترجمة إلى الألمانية قام بها كل من إيفون وهربرت
مير . أخرجها كارت ميزل . أعد الديكور والملابس جان دونيس
مالكيس . وضع الموسيقى مارك لوثر .

• • •

شخصيات المسرحية

باربي .

ماريا ، زوجة باربي .

سيتشو .

مهاجر بريسبان .

بينفيكو .

آنا ، فتاة صغيرة .

الحوذى .

السنور لويجي روكو ، عمدة بلفنتو .

الأب أوروري .

توتينو ، سكرتير العمدة .

الشاب صاحب الصورة .

بيكالوجا .

مهاجر آخر .

روزا ، زوجة بيكالوجا .

فلاحون وفلاحات ، والحصان كوكو

سكاراملا .

لورا ، زوجة سكاراملا .

تدور الأحداث في قرية من قرى جزيرة صقلية حوالى عام ١٩٥٢

اللوحة الأولى



ميدان في قرية صغيرة تقع فوق تل مرتفع . في الوسط ، عين ماء من الحجر . ليلة مرصعة بالنجوم ومظلمة . عند رفع الستار تكون أضواء المسرح مطفأة . يسمع صوت عربة وهو يتناهى من بعيد . بعد فترة تظهر عربة من ذات الأربع عجلات بمصاييحها المتواترة . تتوقف . وعندئذ يضاء المسرح .

المشهد الأول

الحوذى والمهاجر

الحوذى : (جالساً فوق مقعده) . ها هنا يا سيدى ! لقد وصلنا .
المكان خليق به أن يبجل . (يرفع غطاء رأسه محيياً) .
وليس ذلك من أجلك فقط . إذا أردت أن تنزل وتقوم
بزيارة . . . انتظرتك . (يسمع نباح كلاب) لا تلق
بالا ، فالكلاب تغنى فى صقلية . (يضحك) ليلة
رائعة ، أليس كذلك يا سيدى ؟ (يشير إلى السماء)
بهذه النجوم المتلألئة وهذا النسيم الخفيف المنعش . . .
تصاحبه حرارة ولا توجد فى مكان آخر غير صقلية .
(يضحك) هذا الذى تراه أمامك هو القديس أنطونيو . . . فى
أسفل ، القديس لوتشيو بابا حيث يعمل بعض الحدادين أثناء
النهار . . . وفى أعلى ، القديسة كلارا متوجة بهالة من
النور . . . خلف ظهري ، القديس فيرمينو . أغلب
الظن ، يا سيدى ، أن إحدى الكنائس قد انفجرت وأن
القديسين جميعاً من رجال وآنسات قد انتشروا فى الجو
(يضحك) المجد لله ! (بعد فترة صمت ، بينما لا يرى

باب العربية وهو يفتح ، يعود الحوذى إلى مقعده (لقد وصلت يا سيدى .

المهاجر : (يهبط من العربية ببطء)

« وهو رجل طويل القامة ، ممشوق الهامة ، يرتدى قبعة من الجوخ ومعطفاً أنيقاً . أشيب الشعر ، يتقدم بضع خطوات ، يتوقف وينظر حوله » .

.....

الحوذى : (بعد أن يتبعه بنظراته) آه ، لا بد أن ينتاب المرء شعور

غريب وهو يرى قرينه مرة أخرى بعد آلاف السنين ! ... من أجلك فقط أشعر برغبة فى البكاء . (يرت على ردف حصانه) أليس كذلك ، يا كوكو ؟

المهاجر : (يتقدم فى خطى منهكة للغاية نحو ساحة القرية الصغيرة . وفى لحظة يبدو مترنحاً) .

.....

الحوذى : هيه ، هناك ! إنك تسقط يا سيدى . (يتقدم بضع

خطوات متجهماً نحوه ، ثم يقف مشدوداً من جديد بالقرب من العربية ويستمر فى متابعته بنظراته) . إيه ، حقاً يا سيدى ، تستطيع أن ترى . . . كل شىء يتغير . . . كل شىء قد تغير . . . كل شىء قد مضى ، يا سيدى

كل شيء يمضى ... هذه بدهيات ، ليس المرء في حاجة
لأن يكون حائزاً على وسام أو حاصلًا على درجة علمية
حتى يعرفها . (يستشهد بحصانه) هيه ، كوكو ؟

...

المهاجر : (ينظر حوله) .

...

الحوذى : ألم تعد تتعرف على الأماكن ؟ هل تقدم العمر بعين
الماء ؟ ... إن خريرها كما هو دائماً . هو الباقي ،
يا سيدى . (بعد فترة) إن الرخام والشمع يذوبان مع
السنين .

...

المهاجر

الحوذى : (وهو يسمع نباح الكلاب من جديد) آه ! هذه
الكلاب . ليست هي الكلاب التي كانت هنا عندما
ذهبت . (فترة صمت) كيف كانت تسمى الكلاب
التي كنت تعرفها ؟ . . . ناد عليها ، وسنعرف .

المهاجر : (ينظر حوله) .

...

الحوذى : وأيضاً كثرت الأشجار ، أصبح لها إخوة . . . كما كان

لنابليون . (يضحك وهو يغير إيقاع صوته) والعصافير أيضاً ماتت ألف مرة بعد أول مرة كنت فيها قد سمعتها . (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . . (فترة صمت) لون العصافير وحده هو الخالد ، هكذا قال صاحب مصبغة .

المهاجر : (يتطلع إلى المنازل التي تحيط بالساحة الصغيرة) .

الحوذى : أما المنازل يا سيدى ، هذه الأكوام من الحجارة ومن الجير ، فلم يكن لها قطّ ما يميزها . . . إلا عندما يكون لها شرفات . ولا أدري لماذا قلت : عندما يكون لها شرفات ؟ هيه ، كوكو ؟ . . . (بعد فترة ، مخاطباً المهاجر) وعلى كل ، فالبنامون الذين شيّدوا هذه المنازل . . . قد رحلوا .

المهاجر : . . .

الحوذى : كم عمرك ، يا سيدى ؟ . . . السن لها دخل فى الحزن ! صحيح إنه سؤال فضولى . . . ولكن أمام هذه النجوم ..

المهاجر : (يجلس فوق جذع شجرة ويحمل يده إلى قلبه) .

. . .

الحوذى : (يجلس على سلم عربته ، يفرد صحيفة مليئة بطعام ،

يشرع في التهامه . يقول وهو يأكل (في انتظارك يا سيدى .

المهاجر : . . .

الخوذى : (بعد فترة وهو منهمك في الأكل) لا يمنع أن المكان في

منتهى الجمال أثناء الليل ، على الرغم من الحزن الذى يلقه .

وأنا مستعد أن أقسم بأن الاثنى عشر رسولا قد مروا من

هنا ، لأنه ما من شىء جميل على الأرض حقاً إلا وطنته

أقدام الصحابة الاثنى عشر ، هيه ، كوكو ؟ . . .

(يرسم علامة الصليب على صدره وهو يأكل) .

المهاجر : . . .

الخوذى : منذ متى غادرت صقلية ؟ منذ زمن بعيد ، أليس كذلك ؟

لقد أدركت ذلك على الفور . الأنف بصفة خاصة هو

الذى يتغير بعد الرحلات ، (مخاطباً المهاجر) أنفك

يا سيدى أصبح إنجليزياً . (يتخذ من حصانه شاهداً)

هيه ، كوكو ؟ . . .

المهاجر : . . .

الخوذى : (بعد فترة صمت طويلة ، وهو يلثم آخر قطعة) والآن ،

هل لنا أن نعود يا سيدى ؟ . . . لقد رأيت كل شىء .

(الكلاب تنبح) وسمعت كل شىء . تذكر أنك قلت

في المحطة : « لدى وقت قصير جداً » .

المهاجر : . . .

الحوذى : وإذا تركت ظلك ، هنا . . . مع الكلاب ، فسيبقى فى القرية على الدوام . ولم لا ؟ إن الحزن يعالج بالأسرار . هيه ، كوكو ؟ . . .

« فى هذه اللحظة ، تصدر أربع دقائق عن ساعة معلقة

ببرج لا يكاد يرى أثناء الليل » .

المهاجر : (يرفع رأسه ببطء) .

. . .

الحوذى : (يبرز من جيب الصديري ، ساعة ضخمة) منتصف

الليل يا سيدى . (بعد فترة صمت ، وهو يرقب السماء)

لقد بدأت النجوم تسقط بصورة خطيرة . إنها بكل

تأكيد أجسام بعيدة من الفضة تسير . . . ومع هذا فهناك

شهب ! . . . وهى ليست من ريش النعام إذا ما سقطت

فوق رأسك .

المهاجر : . . .

الحوذى : هيا بنا نعود يا سيدى . لقد رأيت أجمل قرية ، بلغة علم

الجمال ، وأهنتك على أنها قريرتك . إن مصورى مدينة

« باليرم » Palerme يجيئون إلى هنا يوم الأحد عندما

يريدون أن يصنعوا تحفاً فنية ، هيه ، كوكو ؟ . . .

(يستطرد فجأة) أسمع صغيراً فى أذنى وأتساءل إذا لم يكن

هو قطارك (يضحك) .

المهاجر

. . . :

الحوذى

: الوقت منتصف الليل ، يا سيدى . وهو وقت متأخر حقاً
على جواد هرم وحوذى عجزوا عليهما أن يجتازا أربعة
وديان قبل أن يصلا بك إلى المحطة .

المهاجر

. . . :

الحوذى

: (يصعد إلى مقعد العربى وينتظر . يلقى من آن لآخر نظرة
على المهاجر الذى يضيع فى أفكاره أكثر فأكثر . ثم يقول
بضيق وهدوء) عد إلى هذه العربى يا سيدى . . .
وإلا رحلت .

المهاجر

: (يبدو أنه لا يعبر أدنى اهتمام إلى ما يقوله الحوذى) .

. . .

الحوذى

: سيدى ، سوف أرحل .

. . . :

المهاجر

: إنى أرفع سوطى ، ليس من أجل كوكو ، لا تظن ذلك ،
ولكن لألعب به هذه المصاييح وأواصل سيرى . (ينظر
إلى المهاجر) .

. . . :

المهاجر

: استمع جيداً : لن تجد مكاناً تأوى فيه . فلا توجد فنادق
هنا ، ولا حانات للشراب أو للطعام . إن مصورى باليرم

Palerme يحملون كل شيء في سلالهم عندما يجيئون
 يوم الأحد . ثم ، من ذا الذى سيتعرف عليك في زرقه
 الليل ، بعد هذه الغيبة الطويلة . . .
 (يظلم المسرح . تسمع قرقرة السوط ، تسير العرببة ثم
 تختفى . يميل المهاجر برأسه إلى الأمام) .

يسدل الستار



اللوحه الثانيه



نفس ديكور اللوحه السابقه. أهالى القرية
مجتمعون فى الساحة الصغيره حول العمده ،
وهو فلاح مهيب له شارب أسود ، ورجل هادئ
يعد إلى الصمت . فى مواجهه الجمهور يقف
توتينو Tutino سكرتير العمده وهو يحمل طبلا
له حمالة ويتأهب لقراءة بيان . فى شرفه دار
العمده ، يقف الأب أورورى Orori خورى
بلفتو Belvento يتابع المشهد بحرص واهتمام
شديدين .

المشهد الأول

العمدة والسكرتير وسيتشيو وروزا بيكالوجا ولورا سكاراملا
وماريا باربي وأنا وبيكالوجا وسكاراملا وباربي وفلاحون
وفلاحات وبينيفيكو ممسكاً بآلة « الهارمونيكا » والأب
أوروري في الشرفة .

العمدة : (يقدم لفافة من الورق للسكرتير) .

. . . .

السكرتير : بأمر العمدة ! (يديق الطبل : يفرد الورقة ويشرع في

القراءة بصوت مرتفع جداً) « أهالى بلفتو ! . . »

العمدة : (وهو يقاطعه) النساء في الصف الأول . (ثم يعطى

إشارة للسكرتير بالاستمرار) .

السكرتير : « أهالى بلفتو ! . . . بالأمس : قبل أن يصيح الديك ،

حيث الوقت لم يكن نهراً ولا ليلاً ، وإنما كان نهراً وليلاً

معاً . استيقظ سيتشيو ، وهو مزارع من بلفتو ، في

ساعة مبكرة ، فوجد في ساحة القرية وهو في طريقه إلى

بستانه رجلاً ميتاً بالسكنة القلبية . وقد قام الدكتور كوتو

Catto بالتحقق من الوفاة بالقرب من هذه العين الغافلة .

وعلى الرغم من أن شخصية الرجل لم تتضح تماماً فقد تم دفنه في مقبرة بلفنتو ، ولقى مراسم الكنيسة المقدسة بعد وفاته ، ذلك أن خورى بلفنتو رجل شجاع أولاً وثانياً هو ماهر في علم الفراسة . (لكى يوضح ما يعلنه يدق السكرتير الطبل بعضا واحدة) . وستعرض في الحال صورة فوتوغرافية عثر عليها في جيب الميت ، تمثله وهو في سنوات شبابه . وقد قام بتكبيرها المايسترو إيتورى إراندا Ettore Arranna وهو مصور مقيم بيالسترو . فليقدم له الشكر علناً لمعاونته الفنية والعملية . (يدق الطبل بعضا واحدة) . إننا نطلب إلى قدماء بلفنتو أن يمروا واحداً تلو الآخر أمام هذه الصورة وأن ينظروا إليها جيداً ويبحثوا في أعماق ذاكرتهم عما إذا كان الوجه بشكله هذا يذكرهم بشخص أو بشيء . وفي كلا الحالين ندعوهم للتوجه إلينا على الفور .

لويجي روكو ،

عمدة بلفنتو .

(يدق الطبل بالعصوين معاً . وبينما يخرج العمدة ، يقوم السكرتير بعد أن يتخلص من طبلته ، بتعليق صورة كبيرة على شجرة ، تمثل النصف الأعلى من جسم رجل ،

شاب، جميل يرتدى زياً من أزياء عام ١٩٠٠ . يقرب
 الفلاحون جميعاً من الصورة يستطلعونها) .

السكرتير : النساء أولاً ! فليبق الرجال هناك ولينتظروا دورهم . هيه !
 تستطيع يا سيثيو أن تقص عليهم كيف اكتشفت
 المرحوم : وهو يرتدى قبعة من أحدث طراز وحذاء
 يلمع في عز الليل . من يدري لعل بلفنتو تقيم لك تمثالا
 من الممر على الخدمة التي أسديتها إليها .

سيثيو : صحيح !؟ . . .

السكرتير : (مخاطباً سيثيو) أيها المواطن، إننا لنمزع على الإطلاق :-

(فترة صمت) النساء أولاً، بأمر العمدة . المرحومين أن
 يتقدمن وينظرن إلى هذه الصورة كما ينظرن إلى أعماق
 بئر . وعلى فكرة ، كان يوجد في الماضي بئر في موقع
 ومكان هذه العين . وكانت تجيء النساء حول حلقها .
 على النساء أن تتذكر وتقول إذا كانت قد التقت بهذا
 الشاب حول البئر . (فترة صمت) إن المسألة تتعلق
 بالشرع (يدعو بإشارة منه إحدى السيدات للاقتراب
 من الصورة) . مدام بيكالوجا . . .

روزابيكالوجا : (إنها سيدة ، لا تزال تتمتع بجمالها ، لم تبلغ سن
 الأربعين) لماذا أنا قبل الأخريات ؟

السكرتير : افعلى ما يطلب إليك . بأمر العمدة .
روزا بيكالوجا : (تنفحص الصورة) .

. . .

السكرتير : (بينما تنفحص مدام بيكالوجا الصورة) هل عرفت هذا الشاب فى بلفتو ، أيام كانت بها بئر ، لقد كنت جميلة أيامها يا روزا . . . كنت حلوة . . . تطرقعين بكعبى حذاءك .

روزا بيكالوجا : (تحول نظرها عن الصورة) كلا ، أيها السكرتير .
السكرتير : تخيلى هذه الصورة . . . أو هذا الشاب عائداً إلى بلفتو . . . ويخاطبك هكذا : « صباح الخير ، يا روزا . . . » هل كنت ستعرفينه ؟ (فقرة صمت)
وإذا كان يدخن سيجاراً ، ويبدى إعجابه بمشيتك ، وهو متكئٌ إلى هذه الشجرة ، مثل صورته ؟
روزا بيكالوجا : ما كنت سأعرفه كذلك .

السكرتير : (يشير إلى انتهاء المحادثة) شكراً لك ، مدام بيكالوجا .
روزا بيكالوجا : لكن من هو ؟ بماذا يتعلق الأمر ؟ ولماذا تتحدث عن شبابى بخصوص هذا الرجل المجهول ؟
السكرتير : شكراً لك ، مدام بيكالوجا ، شكراً .
روزا بيكالوجا : (تبتعد) .

السكرتير : (مخاطباً سيدة لم تبلغ الأربعين من عمرها بعد ، ولا تزال تتمتع بجمالها) : أما معك أنت أيها السنيورة ، فسوف أكون دقيقاً ، لأنك سيئة الطبع كما أن لسانك سليط كلسان البلهاء (فترة صمت) آه ! مدام سكارامللا ، ليجعل الله ملائكته تهبط عليك عندما تشاهدين هذه الصورة .

لورا سكارامللا : هلا انتهيت من الكلام وتركتني أنظر في هدوء .

السكرتير : منذ عشرين عاماً

لورا سكارامللا : (تقاطعه ، بازدياء) منذ عشرين عاماً ، لم تكن قد ولدت !

السكرتير : دعيني أنهي كلامي . . . منذ عشرين عاماً ، قبل ولادتك الثانية تماماً . . .

لورا سكارامللا : قل إذن ، السيدة المحترمة ، بماذا تأخذني ؟

السكرتير : ليأخذك الشيطان ! أجيبي عن هذا : منذ عشرين عاماً هل قابلت شاباً يشبه هذه الصورة ؟

لورا سكارامللا : هذا أمر لا يعينك .

السكرتير : بالتأكيد ، أيها السنيورة ! وإني لأسخر من ذلك ! ولكنك

ستجيبين مع ذلك (يسحب من حمالته إحدى العصوين ويدق الطبل المطروح أرضاً على بعد خطوات منه) .

لأنى أحدثك فى هذه اللحظة بلسان العمدة وباسم القانون .

لورا سكارامللا : إذن ، لم أقابل مطلقاً ولم أر شخصاً يشبه هذا الشخص ، لا فى خير ولا فى شر . (فترة صمت) هذا للعمدة (فترة صمت) أما لك فىنى أقول : أنت عبيط ! (تضحك برقة) .

السكرتير : (يظل فترة مرتبكاً ثم يقول) لنفترض أنى لم أسمع شيئاً ... باسم القانون . (يخاطب امرأة أخرى فى الأربعين من عمرها ولكنها لا تزال تتمتع بجمالها) جاء دورك يا مدام باربى .

ماريا باربى : إنى أجيبك على الفور وحتى دون أن أنظر : لم أره على الإطلاق ، لأنه إذا كانت النساء الأخريات قد رأيته ، كنت رأيته أنا أيضاً . إنك تنسى أننا نسكن جميعاً نفس القرية .

السكرتير : لا أطلب منك ، أيتها السنيورة ، أن تدلى بحكمة فلسفية ، وإنما أطلب منك أن تلقى نظرة .

ماريا باربى : (وهى تتوجه ناحية الصورة وتتفحصها عن قرب) حسن ، إنه لا يذكرنى بأحد من الناس عرفته هنا .

السكرتير : وفي مكان آخر . . . خلال رحلة ؟

ماريا باربي : أتمرح أيها السكرتير ، إن العالم بالنسبة لنا ، كان يتوقف في الماضي عند الشارع الكبير .

السكرتير : طيب ، هل التقيت في الماضي بهذا الشاب عند الشارع الكبير ؟

ماريا باربي : (تنظر من جديد إلى الصورة) .

. . . .

السكرتير : تذكرى ، كنت تمرين بالشارع الكبير ، وتحت ذراعك سلة بها جبات الكستنا السمراء . . . سمراء ، أنت أيضاً ومتمعة حقيقية للنظر . . . أيام كانت العربات تنطلق نحو المدينة .

ماريا باربي : لم تعد بالمدينة عربات ، أيها السكرتير ، ولا أذكر أننى تحدثت إلى هذا الصبي . (تعود إلى مكانها) .

آنا : (فتاة صغيرة فى الثالثة عشرة تتقدم وتنظر إلى الصورة بحنان) لطيف .

السكرتير : انظرن ، انظرن جيداً ، أيها السيدات إلى هذه الفتاة . عندما كنتن مثلها ، ألم تعرفن شاباً . . . مثله ؟ . . . (يشير إلى الصورة) .

السيدات الثلاث : (يهزرن رهوسهن) .

السكرتير : لم تكن من بينكن واحدة عاطفية . . . فيما مضى ؟ !
 روزا بيكالوجا: حضرة السكرتير ، إنك تنسى أننا متزوجات .
 السكرتير : قلت : « فيما مضى » هل تسمح لي ؟
 روزا بيكالوجا: وحتى هذا ، لم يجب أن تقوله . فيما مضى وفيما يأتي نحن
 لأزواجنا .

السكرتير : لا تبالغي في الأمر ، أيتها الأم ! فلن تجعليني أصدق
 أنك ولدت في نفس اليوم الذي ولد فيه زوجك ، وأنكما
 كبرتما دون أن تفرقا حتى أصبح هوشابنا يافعا وأصبحت
 أنت فتاة في سن الزواج ! . . . إذا أردت أن تعرفي ،
 فإن العذراء نفسها ، كانت فيما مضى تنتزه . والزواج ليس
 سرا من أسرار البوليس .

لورا سكارامللا : قل إذن ، أيها الخبيث ، هل انتهيت من تجريد روزا
 من ثيابها والنظر إليها من فتحة القلنسوة . . . بسبب رجل
 غريب . . .

روزا بيكالوجا: دفناه بالأمس في خشوع مع أعلام القرية .
 السكرتير : ليس غريباً عن بلفنتو ، أيتها الأم ، ليس غريباً .
 (يسحب من حمالته الجلدية عصا ، ويدق الطبل
 المطروح أرضاً على بعد خطوات منه) .

ماريا باربي : لكن من يكون، هذا المجهول الذي جاء ليموت في بلفنتو

أثناء الليل كأحد اللصوص ؟

السكرتير : (يدق الطبل من جديد بعضا واحدة) إنه ليس مجهولا ،
أيها الأم ، ليس مجهولا !

روزا بيكالوجا: انطق اسم ذاته إذن أمام الله طالما أنه مات ، وعرفنا به .
لورا سكارامللا: كف عن إرهابنا بأسرارك الواهية .

ماريا باربي : لا تدعنا هكذا أشبه بيغلات ثلاث مقيدة من عنانها
... هذه الصورة . قل لنا ما تعرفه .

السكرتير : لن تخرج كلمة واحدة من فمي . لقد أقفلت المحضر :
ولا واحدة منكن قد تعرفت عليه . ويعلم الله أنني حاولت
مساعدتك أيها السيدات . (يحمل السكرتير طبله
ويتأهب للخروج) .

لورا سكارامللا: إذا كنت سريعة الفهم ، فإنك أردت أن تحمل روزا على
الاعتراف بأن هذا الرجل عشيقها وقد عاد إلى بلفتو ...
ليراها قبل أن يموت .

السكرتير : ولك أيضاً . أيها السنيورة ، أقول نفس الشيء (ثم يقول)

تذكرى عندما كنت تقومين بنشر الغسيل وأنت تضعين الفلفل
الأحمر في شعرك . لم تكوني تمرين دون أن يرمقك الشبان .
لورا سكارامللا: (مخاطبة رفيقها) آه ، إنه يتحدث عن عاشق قد نكون
عرفناه ... فيما مضى ! (تضحك) .

السكرتير : ولم لا ؟ ... لم لا ، يا مدام سكارامللا ؟ إن الفضيلة

مياه شفافة وعميقة ، لكنها تتحرك . يا مدام سكارامللا ،
بل تحركت . . . بالتأكيد .

روزا بيكالوجا : (تصيح منادية) بيكالوجا ، هوه ! هوه ! تعال اسمع
ما يقال عن زوجتك .

بيكالوجا : (وهو يقرب) ماذا ، أيها السكرتير ؟ . . .

السكرتير : كنت أفترض افتراضاً ، كنت أفترض أن زوجتك كانت
جميلة فيما مضى . هل هذا شيء سيء ؟

بيكالوجا : هيه ، أبداً .

روزا بيكالوجا : حلوة . . . وخفيفة ، هذا ما أعلنه .

بيكالوجا : فعلا ، كنت تزين أقل من وزنك الحالي مرتين .
(يضحك بخفة) .

سكارامللا : (الذى تابع المشهد كله من بعيد ، يتقدم مهدداً)

اسمع . أيها السكرتير ، يمكنك أن تقول كل ما يدور
برأسك طالما أنك تحمل الطبل . ولكن أحذرك ، وقد

صعد الدم إلى رأسى ، بأنه لا يصح أن تعبت بالشرف
والفضيلة . لقد كان هؤلاء النساء أجمل نساء القرية ،

فيما مضى . فإذا كان قد نال منهن المشيب فإن الشرف
لا يشيب أبداً أيها السكرتير . هل فهمت ؟ ! . . .

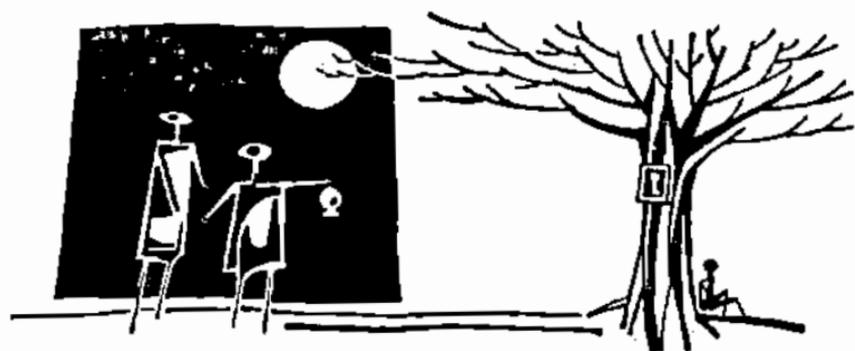
(يسحب من جيبه سكيناً بجد فاصل : يفتحه ،

ثم يغمده إلى آخره في الصورة) وهذا في النهاية من أجل
رجلك الميت !

(في الشرفة يقف الأب أورورى وقد بدا عليه الذعر .
الجميع يخرجون في صمت ، فيما عدا الصغيرة آنا التي
تنظر إلى الصورة بحنان وتسند رأسها إلى الشجرة) . . .

يسدل الستار

اللوحة الثالثة



نفس الديكور . الوقت ليل . يدخل
بينفيكو متخفياً يتبعه سيشيو الذي يحمل
مُصباحاً في يده . عند جذع الشجرة حيث
لا تزال صورة المهاجر معلقة وقد أغمد فيها
السكين ، تنام الصغيرة أنا وعلى كتفها وشاح .
لا يلحظ الرجلان وهما يدخلان وجود الفتاة
الصغيرة .

المشهد الأول

بينيفيكو وسيتشيو والصغيرة آنا نائمة

بينيفيكو : (بصوت منخفض) تعال ، يا سيتشيو . . . تعال .
سيتشيو : (يهز المصباح حوله وينظر) .

. . .

بينيفيكو : لا تهز مصباحك هكذا . . . إنه ينشر الظلال في كل
مكان . والمقبرة ليست بعيدة ، حيث الرجال والنساء
يقفون في صفوف متصلة في انتظار مصافحتي .

سيتشيو : سأطفي* هذا المصباح . حتى نكون على سجيتنا مع
الليل .

بينيفيكو : إننا نكون على سجيتنا في الليل الصافي أكثر مائة مرة
مما لو كنا بصحبة هذا اللسان الأصفر . لسان الأفعى .
(يشير إلى لُهب المصباح) .

بينيفيكو وسيتشيو : (ينفخان اللهب طويلا دون أن يتمكنوا من إطفائه)
فوف . . .

سيتشيو : إنه جنس من اللهب ، يقوى أمام صفع الريح .

- بينيفيكو : لُهب ملعون يريد أن يسمع كل شيء ، بعد أن يرى كل شيء .
- الرجلان : (ينفخان معاً) فوف . . .
- بينيفيكو : (بمجرد أن ينطق المصباح) ستفص على الآن كل شيء يا سيتشيو .
- سيتشيو : إذا شئت ، أيها الجلد (يتقدم بضع خطوات ويشير إلى مكان ما) وجدته ميتاً ، هنا ، والكلاب نائمة عند قدميه . (ينتفض من التأثر بمجرد التذكر) .
- بينيفيكو : أجل ، لكن هدي من روعك .
- سيتشيو : كان يبدو نائماً . . . (يجلس فوق جذع الشجرة ويتخذ نفس ونمع المهاجر) هكذا . . . وكانت الكلاب تزوم عند قدميه بهدوء . ميت نائم ! أعترف بأنه يوجد ما يقرب السحنة من الحروف ! لقد تعلق لساني بسقف حلقى ، وظننت أنني أصبت بالبهيم : ثم بالصمم . (يحاول أن يتغلب على اضطرابه) أجل ، لكن لهدي من روعنا . (يسحب بينيفيكو إلى أقصى المسرح) هنا ، وجدت روث حصان . . .
- بينيفيكو : كان ينتظره حصان .
- سيتشيو : (بغموض) أجل .

بينيفيكو (بعد فترة صمت ، وقد خاب ظنه) هذا هو كل شيء ؟ . . .

سيتشيو : ماذا تريد أكثر من ذلك ، أيها الجدد ؟ حصان وميت في جنح الليل ! إن أسطورة القديس جورج أقل جمالا من هذه .

بينيفيكو : اخفض صوتك يا سيتشيو . إنك تنسى أن المقبرة ليست بعيدة ، وأنه يوجد هنا ، مصباح ساخن يخاطر بأن يضيء من جديد . (فترة صمت) وبعد ذلك ؟

سيتشيو : بعد ذلك ؟ . . . أسرع إلى العمدة الذي كان يغط في النوم . قلت له : اصح يا لويجي ، أحضر مسدسك الحربى وتعال ! ففي ساحة القرية يتمدد رجل ، عيناه مفتوحتان على سعتهما ، ولا يتكلم . كانت كل الكلاب تتبعنى ، وكأننى ساحر . وعندئذ استيقظ لويجي في سروال النوم وارتدى قبعته ، برغم ذلك ، مراعاة للحياء ، وهرعنا معاً لنشاهد الحادث عن قرب . ثم ذهبت لأوقف السكرتير الذى صاح بى : « اذهب ونم يا سيتشيو ، فقد أصابك كابوس ، ثم بلغ العمدة بأننى آكل أرزاً مع الملائكة » . بعد ذلك هبطت على أربع حتى قاع الوادى لأحضر الدكتور كوتو الذى كشف على الميت

بعد أن نزع ياقته ورباط عنقه لإعادة التنفس الذي لم يعد . هذا هو ما حدث أمس في الصباح الباكر ، أيها الجلد ، بينما كنت ذاهباً إلى بستاني لأرى ما إذا كانت الخضروات قد نضجت .

بينيفيكو : (بلهجة الشخص المطلع على بواطن الأمور) ليس هذا بالشيء الخطير يا سيتشيو . يخيل إلى أنك لا تعرف شيئاً .

سيتشيو : كيف ، كيف ؟ بالله عليك .

بينيفيكو : لست ما كراً أنت يا سيتشيو لست ما كراً ! . . . فالفراسة تنقصك والتجارب لم تحنكك .

سيتشيو : عجباً لك ! أيها الجلد . . .

بينيفيكو : لا تغضب يا سيتشيو ، لا تغضب . (ثم بشيء من الغموض) عندما تقص ما شاهدته فإنك لا تقول ما حدث . . . وعندما تقول ما حدث ، فإنك لا تقص ما تبينه !

سيتشيو : ؟ . . .

بينيفيكو : أى نعم !

سيتشيو : وما الذى لم أتبينه إذن ، بالله عليك ؟

بينيفيكو : (ينظر إلى اليمين ثم إلى اليسار ويأتى بحركة من يرفع

بقبضته حقيبة جلدية) الحرج الجلدى ! (فترة صمت)
الخاص بالمرحوم .

سيتشيو : هذا صحيح : لم ألق بالآ إلى هذه الملحقات .

بينيفيكو : (منتصراً) يا إلهى ! (بعد فترة ، وهو ينتحى بسيتشيو
جانباً) يخيل إلى أنه يحتوى على ثروة .

سيتشيو : كيف عرفت بوجود الحرج ؟ . . . أنت الذى كنت
وقتها فى فراشك ، تحك مؤخرتك فى حمى الأغطية ؟

بينيفيكو : إنك طيب القلب يا سيتشيو !

سيتشيو : وحتى لو عرفت ذلك ، فكيف تضيع خبر وجود ثروة

بداخل الحرج ؟ . . . (وفجأة يخاطب نفسه) هذا
صحيح ، يا إلهى ! لا بد أنه كان يقبض عليه بقوة ، على
هذا الحرج . لكن يد الميت تكون بجيلة . أيها الجلد ،
ولا تنفرج .

بينيفيكو : مهلا يا سيتشيو ، مهلا . فالمقبرة ليست بعيدة ، حيث

السادة والسيدات يبالغون فى الاعتقاد بأنهم بشئونهم .
تعال هنا وأنصت جيداً . (بصوت منخفض) قبل الظهور
تماماً ، رأيت لويجى يمر وهو يحمل فوق يديه خراج الليلة
الماضية . يتقدمه السكرتير الذى كان يتعثر فى مشيته من
فرط الحيلة والانتباه وكانت عيناه تلمعان . فقلت لنفسى :

« لا ، لا ، لكن من الجائز ! ليس هناك ما يمكن حماه
بهذه الطريقة غير مخلفات الكنيسة . . . أو المال
المطمور ! »

سيتشيو : ومع هذا كان الحرج خفيفاً عندما خاصته من يد الميت ،
إصبعاً بعد الآخر . وإلا أحسست على الفور بوجود ذهب .

بينيفيكو : الأمر لا يتعلق بقطع ذهبية توضع في صندوق وتصطك
معدثة ضجيجاً عالياً عندما تهتز ، ولكن الأمر يتعلق
بعملة . . . عالمية وصماء ، يا سيتشيو ، تتمثل في أوراق
مالية جميلة تطير في الهواء (فترة صمت) رأيت في نابولي
سيدة تملك منزلاً له سلمان ، لا يزيد ثمنه على بضع
ورقات من هذا النوع . (بعد فترة) يخيل لي أن الحرج
كان مكديساً بمثل هذه الأشياء .

سيتشيو : باسم الله !

بينيفيكو : أى نعم ، باسم الله !

سيتشيو : (بعد لحظة من التفكير) وإذا كنت مخطئاً ، أيها الجلد ،
وإذا كانت الحقيقة تحتوى على صحف المدينة وعلى
غيار نظيف ليوم الأحد ؟

بينيفيكو : وهل كان يدق الطبل إذن من أجل بعض الملابس . . .

ويحتفل رسمياً بدفن شخص من أجل بعض الجرائد؟ لا ، لا ، لكن من الجائز !

سيتشيو : كنت أفكر . . .

بينيفيكو : لا تفكر ، يا سيتشيو : وإلا أفسدت ذكاءك الحاد .

سيتشيو : ربما دق الطبل لجمع الناس ومحاولة معرفة من يكون ، ذلك الذي جاء لموت عندنا بلا مبالاة ، في ليلة صيف ، دون أن يطرق باباً .

بينيفيكو : لست ماكرأ ، يا سيتشيو ، ولا تعرف كيف تتقصى

الأمور ، أو تلجأ إلى مطابقة الأحداث . . . اسمع ! (يقرب من أذنه) يخيل إليّ أن لويجي العمدة ، كان يعرف شخصية الميت .

سيتشيو : ؟ . . .

بينيفيكو : لكن ما أراد أن يعلمه على وجه التحديد ، هو الشخص الذي عرف في بلفتو هذا السيد فيما مضى . هذه هي نظرتي .

سيتشيو : (يرفع يده إلى ذقنه ويأخذ في التفكير) .

؟ . . .

بينيفيكو : لم تكن قد ولدت ، يا سيتشيو ، عندما كنت أنا حارساً

في نابولي . لا تهق عقلك .

- سيتشيو : أجل . يبدو لي أن الأمر يهم النساء أكثر . « النساء أولاً » ، هكذا قال السكرتير قبل أن يتحدث .
- بينيفيكو : هل من الضروري أن أحك رأسي المسكين وأن أشرد بذهني حتى أهمل هذه المطابقة ؟ هذا صحيح وأنت على حق !
- سيتشيو : أي نعم .
- بينيفيكو : لقد أصبحت يا سيتشيو ، صديقاً لمطابقة الأحداث . إنني أهني نفسي على مجيئي معك في الليل المظلم كي نتناقش .
- سيتشيو : « النساء أولاً » : هذا هو السر .
- بينيفيكو : والمال المظمور أيضاً . لا نعلم أيهما الأساس ، المال أم النساء . (فترة صمت) سنجد ما يسلينا في بلفنتو ، أوكد لك ، انتظر وسوف ترى يا سيتشيو ! يخيل لي أن هذه هي بداية مأساة كبرى (في هذه اللحظة ، تضاء فجأة نافذة أحد المنازل المطلة على ساحة القرية) انظر ، انظر ! العمدة في دار البلدية .
- سيتشيو : وأين ينبغي أن يكون العمدة في هذه الساعة ؟
- بينيفيكو : في نومه يغط (فترة صمت) مثلنا . (فترة صمت) لو لم نكن هنا .
- سيتشيو : (وهو يرى النافذة تطفأ وأخرى تضاء) لقد انتقل إلى المطبخ .

- بينيفيكو : لا يوجد هناك مطبخ ! فالمطبخ في دار البلدية ، هو أيضاً غرفة الموقى . يوماً ما ، سيسجل اسمك يا سيتشيو في سجلات . . . المطبخ .
- سيتشيو : (وهو يرى ضوء النافذة الثانية ينطفئ* ، ونافذة ثالثة تضاء) الآن هو في غرفة الاستقبال .
- بينيفيكو : لا توجد غرفة استقبال في دار البلدية ! فغرفة الاستقبال هي أيضاً غرفة الزواج . يوماً ما ، سيسجل اسمك يا سيتشيو ، عندما تصبح لك قرون ، في دفاتر . . . غرفة الاستقبال .
- سيتشيو : (وهو يرى ضوء النافذة الثالثة ينطفئ* . وشيء كالنافذة يضاء) يبدو أن العمدة (يتردد ثم يستطرد قائلاً) منهنك . . . في غسل يديه .
- بينيفيكو : لا توجد حنفية في دار البلدية . . . إن ما تظنه هذا المكان ، هو خزانة المواليد . فلا حاجة لأماكن كثيرة حتى يسجل المواليد .
- سيتشيو : (وهو يرى المكان ينطفئ* ، ونافذة أخرى تضاء) إنه في المطبخ من جديد . ربما كان يقشر . . . تفاحة .
- بينيفيكو : كلا . إنه سجل الموقى ! لا تعارضنى على الإطلاق : إنه في السرايب ، أى العمدة ! . . . يفحص اللوحات المكتوب عليها عبارة « هنا يرقد » . كل هذا بسيط

ونظيف في الدفاتر (يخفض صوته) أما هنالك في المقبرة .
فتوجد صناديق القمامة .

سيتشيو : إذا كنت أتابعك جيداً . أيها الجدد . فأني أؤكد أن
لويجي يقوم بالبحث عن وثائق أو أوراق مماثلة لها علاقة
ما بالمرحوم .

بينفيكو : أنت لا تتابعني يا سيتشيو ، إنك تفوقني . وليكن في
علمك . أنه إذا كان البحث مجدياً . فستسمع غداً إلى
دق الطبل .

سيتشيو : لإذاعة بيان ؟

بينفيكو : أو فضيحة . لأن الأمر يتعلق بشكل أو بآخر بثروة .
ولويجي يبحث الليلة عن صاحب النصيب .

سيتشيو : الحرج !

بينفيكو : ومن يعنى المال يا سيتشيو ، يعنى الانقلابات والمطاحات
والتقلبات ! هذه هي طبيعة الإنسان السيئة . هيا بنا
يا سيتشيو ، (يشير إلى المصباح) أضيء لسان الأفعى
هذا ولنعد إلى بيوتنا .

(سيتشيو يضيء المصباح ، ويتأهب للخروج . يتبعه
بينفيكو وعندئذ يتركز بصره على الصغيرة آنا النائمة عند
جذع الشجرة التي علقت عليها صورة المهاجر) .

- سيتشيو : انظر ، كرة بيضاء !
- بينيفيكو : سلة بصل أبيض في الليل .
- سيتشيو : (الذي اقرب بمصباحه) ولها قدمان ، أيها الجلد .
- بينيفيكو : (الذي اقرب بدوره) الصغيرة آنا ! . . . ماذا تفعل هنا ؟
- سيتشيو : تنام تحت هذه الصورة كما لو كانت ممرضة صغيرة .
(ينحني ويزها) آنا . . . آنا . . .
- بينيفيكو : دعها يا سيتشيو .
- سيتشيو : أليس من الأفضل أن نعيدها إلى بيتها ؟
- بينيفيكو : دعها ، قلت لك . (وكأنه يخاطب الجمهور) في كل الحكايات ، يوجد ملاك . . . وأنا الصغيرة هي ملاك هذه الحكاية . (يجذب سيتشيو من ذراعه نحو باب الخروج) وككل الملائكة ، لن تفيد في شيء !

يسدل الستار

اللوحة الرابعة



نفس الديكور . في ساحة القرية يقف
السنيور سكارامللا والسنيور بيكالوجا والسنيور
باربي ، يضعون جميعاً قبعات ريفية من الجوخ
الأسود ويرتدون ثياباً رسمية ، وينتظرون أمام
دار العملة . بينيفيكو يعزف على آلة
« الحارمونيكيا » وهو جالس على الأرض مستنداً
إلى جذع الشجرة .

المشهد الأول

بينفيكو وسكاراملا وبيكالوجا وباربي

بينفيكو : (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») كنت أتشرب الموسيقى... هكذا . لأسلى نفسي . . . عندما كنت حارساً في نابولي . . . لدى فرانشسكو أماتو . . . (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») أحد الملاك . . . كان يناديني بالمخصي . وكان السكان يعودون إلى مساكنهم في الصباح الباكر . . . أما الرجال فلا أعرف ما الذي كان يفوح منهم (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») وأما النساء فلا أعرف ما الذي كان يفوح منهن . (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») آه ! هؤلاء الفاسقون ! (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») لكن أكثر ما كان يثير سخطى . . . هو أنهم وهم عائدون مع الفجر (يعزف على آلة « الهارمونيكا ») كانوا يقولون لي : صباح الخير « بيون جيورنو » Buon Giorno . . . بينما كنت حارساً ليلياً . إن العالم عبارة عن صندوق قمامة عامر بالناس ! (بعد أن يكون قد تفرس في وجوه الرجال الثلاثة ، يقول فجأة) : لا أدري لماذا تذكروني على الفور بهؤلاء السكان ! . . .

بينيفيكو : يا لها من مهنة ذهبية ، هي مهنة الحارس ، فهي تتيح له فرصة التعرف على معاصريه ومراقبتهم ، كما تتيح له ممارسة عملية مطابقة الأحداث . (يخفض صوته ويغير لحنه ثم يقول وهو يشير إلى صورة المهاجر التي لا تزال معلقة على الشجرة) اسمه جالار . نعم ، جالار . كيف عرفت ذلك ؟ ... لأنى كنت حارساً ! فن كثرة فتح الأبواب وإغلاقها ، يدخل المرء بدوره من باب الفلسفة ، ويتعلم منه أيضاً من المعلومات بالمجان ! كم تفتح المفاتيح من أبواب ! (بصوت منخفض) يدعى جيف جالار ، كما قلت ... ألا يوجد لقب جالار فى المنطقة ؟ ... نعم لا يوجد . يوجد فقط آل جالاردو وآل جاردينى وآل جالاردينو ، يوجد الكثيرون منهم فى مقبرة بلفنتو . ويخيل إلى أنه ينحدر من إحدى هذه السلالات . (يعزف على آلة « الهارمونيك ») .

سكارامللا : شخصياً ، لا أحب نظرة هذا الرجل عندما كان شاباً .
بيكالوجا : وهو ميت ربما بدا أكثر رزانة .
سكارامللا : أجل ، لقد كان وقوراً وهو يدفن .

باربي : (كظفل ساذج) وهذا أمر لا يستهان به : أن يدخل المرء
 بقدم ثابتة إلى الحياة الآخرة !

بينيفيكو : (مخاطباً الرجال الثلاثة ، بعد فترة صمت) جهلة !
 الرجال الثلاثة : (ينظرون في وقت واحد إلى بينيفيكو ويحاولون أن يفهموا)

بينيفيكو : إنكم جميعاً أميون أو جهلة وأنتم تتحدثون هكذا عن
 السيد جالارا ! (ينفجر ضاحكاً) ها ... ها ... ها ...
 (يعزف على آلة « الهارمونيكاً ») .

بيكالوجا : هلا رفعت هذه الآلة الألمنيوم عن فلك ، وأشركتنا معك
 في الضحك .

بينيفيكو : الذين يرتدون ثيابكم ؛ لا يضحكون ، أيها السادة ، وإنما
 يفكرون . لا ، لا ، لكن من الجائز ! أين البروتوكول ؟
 عندما يضع الناس قبعات مستديرة وأربطة عنق هفهاقة
 وجب عليهم أن يتشبهوا بفلاسفة نابولي : الخرس من كثرة
 التفكير . تعرفت هناك على أحدهم وكان يتردد على صاحب
 البيت . كان يهز رأسه ليعبر عن إعجابه بنشأة الكون
 أو يخفض ذقنه ليشير إلى أن آدم ، أيانا ، كان أصغر
 من صفارة . والعكس صحيح . لكنه لم يكن يضحك
 على الإطلاق .

باربي : ماذا جاء يفعل آدم هنا هو واكتشافاتك الأخرى ، بينما
 دعانا العملة وحده .

- بينيفيكو : بياقات بيضاء . . . (يشير إلى ثيابهم) وأربطة عنق هفافة . . . لا ، لا ، لكن من الجائز !
- سكاراملا : لقد حضرنا « بالزى الرسمى » لأنه طلب إلينا هذا . فإذا فى ذلك !
- بازى : (مخاطباً سكاراملا) كنت على وشك أن أقول : وماذا فى ذلك ؟ . . .
- بينيفيكو : فلتعزف الموسيقى الإذن تحية لأناقتكم . (وفجأة يلتقى بآلة الهارمونىكا « ينهض ويتوجه ناحية سكاراملا) هل تعلم لماذا طلب إليك الحضور ؟
- سكاراملا : أعتقد أن العمدة يريد أن يتحدث إلىّ بشأن الأبقار التى أمتلكها . . . أو بالتحديد بشأن حظيرة الأبقار التى أمتلكها أو بالضبط بشأن ذباب حظيرة الأبقار التى أمتلكها . فىوجد منه الكثير . الكثير من الذباب ، بينما يوجد قليل من البقر . وهذا لا يصح .
- بينيفيكو : أمى ! (وهو يتوجه ناحية بيكالوجا) وأنت ، لماذا أنت هنا؟
- بيكالوجا : بسبب أشجار الكرز التى أمتلكها والتى تتسبب فى مشكلة مستعصية . فالعمدة يريد لها أكبر حجماً حتى يصدرها .
- « فكر فى البرتقال وأنت تنظر إلى الكرز » هذا ما يقوله لى فى كل مرة .

بينفيكو : جاهل ! وأنت ، سنور باربي ؟

باربي : أنا لا أعلم شيئاً .

بينفيكو : باربي ، إنك أعقلهم جميعاً ! (ثم يتكلم وكأنه يفضي

بأكبر أسرار الكون) اقتربوا ، أيها الأمراء الطيبون .

وأنصتوا جيداً . (يتلفت حوله ليتأكد من أن أحداً

لا يسمعه) أنتم هنا . . . بسبب السيد جالار . (يشير

إلى الصورة) فبسببه تم جمعكم (من بين أنيابه) من أجل

بيان . . . أو فضيحة . (بفترة صمت) لقد قلت ذلك

بالأمس لسيثيو .

بيكالوجا : لم أصادف في حياتي مثل هذا الغموض حول حالة وفاة .

وهذا الدق على الطبل من أجل رجل هو الآن في مقبرته

على وشك أن يتجمد .

باربي : وما دخل نساتنا في ذلك ؟ . . . لم تكن كلمات السكرتير

مشرفة بالنسبة لمن . (وهو ينظر إلى سكاراملا) هيه ؟

سكاراملا : أكرر أني هنا بسبب البقر الذي أملكه وليس بسبب

الميت . انظر أين زرعت سكينى .

باربي : لقد ظلت زوجتى تتحدث عن السيد طوال الليل . كانت

تريد أن تعرف ما معنى عرض صورته ، ولماذا طلب إليها

أن تذهب مع الأخريات لرؤيتها . لقد أنهكتني بكلامها

حتى انطفأ المصباح عند الفجر بعد أن استنفد وقوده
وبعد أن صفتها على وجهها منبهاً الحديث .

سكاراملا : عندك حق .

باربي : بل العكس ، ليس عندي حق ، وزوجتي هي المحقة في

محاولة الفهم . وفوق ذلك ، سأطلب من العمدة على الفور
أن يوضح لنا الأمر ، ويكشف لنا الورق ، كما يحدث
في حالة بيع بقرة . إن الأمور الواضحة لا تبقى في الغيوم .

سكاراملا : وأنا سأرجو العمدة أن يقطع هذه الشجرة . وأن يلقى إلى

المقبرة ، بالشجرة . . . وبالصورة ! ففي هذا العرض شيء
من عدم اللياقة .

بينيفيكو : مهلا ، سنور سكاراملا ، مهلا . . . بعينيك الصغيرتين

اللتين تشبهان حبات الفلفل ومشاريعك . (مخاطباً الجميع)
وأنتم جميعاً ، عليكم باحترام السيد جالار . (بعد فترة ،
وبصوت منخفض) فن الجائز أن يكون قريباً لكم . . .
من بعيد . . . أو بطريق المصاهرة ، كما يقولون .

باربي : ليس لي قريب لا أعرفه حق المعرفة ولم آكل وأشرب

معه .

بينيفيكو : (مضحماً صوته) وأنت أيضاً : مهلا ، ، سنور باربي ،

مهلا .

باربي : ليس لى قريب ، إذا أردت أن تعرف ، لم ألعنه مرة
على الأقل على سبيل العشم . إن الأقارب مثل السميطة
فى متناول اليد ، وليسوا موسومين فى صورة .

بينيفيكو : (فجأة وفى حركة واحدة يجذب الرجال الثلاثة
نحوه ، ثم يقول وهو يشير إلى الصورة بصوت منخفض)
لقد جاء . . . ليرى ابنه ! . . . على ظهر حصان ، فى
تلك الليلة . لماذا على ظهر حصان ؟ لأن السيد
جالار رجل إنجليزى ، يجب ذكر الوقائع كما هى . (فترة
صمت) وقد مات قبل أن يتحدث إلى ابنه . . . أما
الحصان فقد فر هارباً . ويمكننى أن أقص عليكم عدداً
من الحكايات فى هذا الشأن ، إذا أردتم ! وأسألوا
سيتشيو .

باربي : السيد جالار له ابن فى بلفتو ؟
بينيفيكو : ما دام قد جاء لرؤيته . لا ، لكن من الجائز ! . . .
أين هو المنطق ؟

سكاراملا : (بجدة) فى بلفتو ؟ ، لا توجد من تدعى مدام جالار .
بيكالوجا : حارس ليس عنده تمييز .

باربي : كل النساء ، هنا ، متروجات .
سكاراملا : (بعد فترة) من أين جاء ابنه ؟
بينيفيكو : السيد جالار له ابن . . . دون أن يكون له مدام جالار .

فليفهم من يريد ، أما أنا فأفهم كل شيء . (مخاطباً نفسه ، بصوت خفيض) هذا أمر شائع في نابولي .

سكارامللا : ما هو الأمر الشائع في نابولي ؟

بينيفيكو : حالة مماثلة : أن يكون الشخص له ابن مثل السيد

جالار . . . دون أن يكون له مدام جالار . فرانسكرو

أماتو ، صاحب البيت الذي كنت أحرسه ، كان له ،

بهذه الطريقة . . . عدد من الأبناء !

باربي : لكن لا بد بأى طريقة من معايشة امرأة لإنجاب طفل ؟

بينيفيكو : آه ، أنت محق في هذا !

باربي : الحمد لله ، فلم أكن أفهم شيئاً .

بينيفيكو : من الخير ألا تفهم شيئاً يا سنيور باربي ، من الخير

ألا تفهم شيئاً على الإطلاق . إن الجهل رفيق السعادة ،

في هذه الأمور بالذات .

بيكالوجا : إذن ، لماذا تعمل على المراوغة والمداراة .

بينيفيكو : (مروعاً) لأنها حالة فاسقية (مخاطباً نفسه وهو يدير رأسه) هذا أمر شائع في نابولي .

سكارامللا : (الذي يتحدث) ماذا إذن ؟ . . . من ؟ . . .

بينيفيكو : (ببطء) . . . أن يكون للمرء ابن في بلفنتو ، مثل السيد

جالار . . . بينما جميع النساء ، هنا ، متزوجات .

(يلتقط آلة «الهارمونيك» وينطلق كالهارب . . . يسمع عزفه

وهو يمتحن) .

المشهد الثاني

نفس الأشخاص فيما عدا بينيفيكو

(يتطلع الفلاحون الثلاثة إلى بعضهم فترة وهم مذهولون) .

باربي : لست غيبياً في الواقع ولكني لم أدرك شيئاً . ظننت للحظة

أني فهمت . . . لكن « فوت » Fuuut ! مضت .

بيكالوجا : هذا الحارس غامض مثل خطب الكنيسة ، ولكن لا أنكر

أنه كان على حق في بعض الأحيان . خصوصاً عندما

يلجأ إلى مطابقة الأحداث . لنجلس ونفكر . لأنني وأنا

واقف أكون فارغاً . (وهو يجلس) هكذا .

سكارامللا : أما أنا . . . فسأحضر بندقيتي .

باربي : ولماذا لا تحضر غليونك ، ما دمنا سنتناقش ؟ هيا ،

اجلس . (مخاطباً بيكالوجا) ماذا قال الحارس بالضبط ؟

لنسترجع حديثه ، إذا أردت . ابتداء من فلاسفة نابولي

الذين شبهنا بهم .

سكارامللا : أكرر بأنني سأذهب لإحضار بندقيتي ، وأنصحك بأن

تفعل نفس الشيء ، يا سنور باربي . (مخاطباً بيكالوجا)

وأنت أيضاً يا من تجلس على مؤخرتك ، كالقدر الممتلي* .

باربي : (مخاطباً بيكالوجا) ما الذى انتابه فجأة ليفكر فى
بندقيته ؟ وعلى من سيصب غضبه فى النهاية ؟ ماذا قال
الحارس بالضبط . أتوسل إليك ؟ إن السيد جالار له
ابن ؟ . . . وبعد ذلك !

بيكالوجا : دون أن يكون متزوجاً ؟ وماذا بعد ! (فترة صمت) إن
حاله يرثى لها . (فترة صمت) النساء ، والكل يعلم هذا ،
تقفز وتغثو . ولا يخلو الأمر من أشياء : فليست هناك
راهبة واحدة .

باربي : يجب على المرء أن يكون مستقيماً حتى يحظى برضى الرب ،
لا أن يكون مستديراً من كل ناحية وله شعر خفيف مثل
النساء . إذا كانت الأرض تنتمى حقاً للشيطان ، فذلك
لأنها مستديرة .

بيكالوجا : حاشا لله !

باربي : أسائل نفسى ، ما الذى يفعله العمدة ولماذا ننتظر منذ
وقت طويل . إن حلتى تشكشكنى . . . لقد ضقت ذرعاً
بالتأنيق بدون فائدة .

بيكالوجا : أجل ، لقد حان موعد حضور لويجى .

سكارامبلا : لكى تعلم فجأة أن زوجتك ربما كانت مستديرة من كل
ناحية مع السيد جالار ؟ . . أو ربما كانت زوجتى .

(وهو يشير إلى بيكالوجا) أو زوجته ، هو الذى يجلس هنا مثل السلطان .

بيكالوجا : (ينهض ، يصيح عالياً) هيه ، وأخرتها !

باربى : (يصيح مهدداً بدوره) هيه وأخرتها !

سكاراملا : حسن ، حسن ، يمكنكما أن تصيحا « هيه ، وأخرتها »

بأعلى ما فيكما وأنتما تفتحان عيونكما كمخالب الديك ! ..

لأن الأمر يتعلق بماذا ؟ أيها الساذجان ، إن لم يكن

بهذا ؟ بالأمس ، كانت زوجاتنا تمر أمام الشاب الجميل

(يشير إلى الصورة) واليوم ، ندعى نحن للاستجواب ..

باربى : انتظر قليلا (مخاطباً نفسه وهو يفكر ، بصوت خفيض)

كل النساء متزوجات فى بلفتو ، هذا صحيح ، فن أين

جاء ، ابنه ؟

سكاراملا . ليس عن طريق الأبقار التى أمتلكها بكل تأكيد !

بيكالوجا : ولا عن طريق أشجار الكرز التى أمتلكها ، على الرغم

من أنها مثيرة .

باربى : لقد قلت : لا بد بأى طريقة من معاشره امرأة للحصول

على شىء مماثل . (فترة صمت) حقاً ، من أين جاء

ابنه ، ابن الكلب ؟

سكاراملا : من أحشاء عاهر أو من إحدى زوجاتنا ، إذا أردتما أن

تعرفا ! وعلى كل ، فهذا هو ما يظنه العمدة بنا ، ظناً
أكيداً ، وبكل صراحة .

بيكالوجا : إنى أفضل سقوط الثلج فوق أشجار الفاكهة التى أمتلكها
على الإنصات لما أسمعه . لا تكرر هذا القول بعد الآن !

باربى : لا تكرر هذا القول بعد الآن ، يا سنيور سكارامللا
وإلا نزعت لسانك وسحقته بنعلى . (وهو ينصرف) إنى
ذاهب لإحضار بندقيتى ، وسأطلق النار على العمدة .

بيكالوجا : وأنا سأطلق النار على السكرتير ، فهو الذى أريد أن أنال
منه أكثر من غيره .

سكارامللا : وأنا سأطلق النار على السكرتير ، والعمدة والصورة .

باربى : وعلى الشجرة . شجرة الشر هذه . (يشير إلى الشجرة التى
علقت عليها الصورة) . (يخرج الرجال الثلاثة ليعودوا بعد
برهة وهم يحملون بندق صيد قديمة . وعندما يكون المسرح
خالياً يسمع صوت آلة «المارمونيك») .

المشهد الثالث

نفس الأشخاص والسكرتير والعمدة

(يظهر السكرتير على عتبة دار البلدية حاملاً طبلته ذات الحمالة ، يتبعه العمدة ؛ يجد نفسه فجأة أمام الرجال الثلاثة بأسلحتهم . يتردد السكرتير لحظة وتبدو عليه الرغبة في التراجع إلى الخلف . يشير إليه العمدة بإشارة من رأسه أن يتقدم) .

السكرتير : (يدق الطبل بيد غير مطمئنة ، ثم يفرد ورقة ؛ ويقرأ)
« أهالى بلفتو . . . »

سكارامللا : (يقاطعه بكلمات تقطر حقداً) نادنا لو سمحت بأسمائنا . . . ما دمت تريد التحدث إلينا بالتحديد .

السكرتير : (ينظر إلى العمدة ، ويتنظر الأوامر) .

. . .

العمدة : (رابط الجأش) استمر .

السكرتير : السادة سكارامللا وباربي وبيكالوجا . . .

سكارامللا : (يقاطعه) اذكر بصوت مرتفع أسماء زوجاتنا . . . مادنا موجودين هنا بسببهن فعلاً .

- بيكالوجا : هيا افعال .
 باربي : أكد فضيحتهن ، أيها الداعر الصغير .
 سكاراملا : تجراً ، أيها السكرتير !
 السكرتير : (يلقى بنظرة مليئة بالقلق ناحية العمدة) .

 العمدة : استمر .
 السكرتير : (بصوت غير مطمئن) سنيور سكاراملا ، زوج دونا لورا ؛ سنيور بيكالوجا ، زوج دونا روزا ؛ سنيور باربي ، زوج دونا ماريا (يقرأ) « بيان إضافي ... » (توجه بنادق الفلاحين الثلاثة دفعة واحدة و ببطء صوب السكرتير ، الذي يتوقف عن القراءة وينظر بالتناوب إلى البنادق وإلى العمدة) .
 العمدة : (لا يزال رابط الجأش) « بيان إضافي »
 السكرتير : (يواصل ويقرأ) « وأمر جديدة عن المجهول الذي جاء ليموت في بلفنتو ، في تلك الليلة ، بصحبة الكلاب حرصاً وتواضعاً . إن الأمر يتعلق بشخص يدعى جالار ، جيف جالار ، الذي كان عائداً من بريسبان ، وهي مدينة في أستراليا ، ويبلغ من العمر ستين عاماً . سن الأسرار والأحزان ، كما سيتأكد فيما بعد . (يلقى بنظرة

سريعة إلى البنادق ثم يواصل غير مطمئن (إلى هنا ،
يحقق الشرف للرجل الذي عاد إلى بلده ليوت فيه ويحقق
أمنية . وأمنية السيد جالار ، وكلنا نعلم ذلك ، أمنية نبيلة
بقدر ما هي معقدة (بصوت مهيب) لقد عاد جيف
جالار إلى بلفنتو ليرى ابنه (فترة صمت) لكن كل
النساء هنا ، متزوجات : نساء الأمس ونساء اليوم .
(تتوجه البنادق ببطء صوب السكرتير) . هذه هي
العقدة ! من وجهة النظر الشرعية ، فإن رغبة المرحوم
مرفوضة : فليس له ابن ! لكن هناك اعتبارات تعلو على
القانون وتدخل في نطاق الضمير الحي والشفقة . « جئت ...
لأرى ابني » ، هذا ما كتبه في مذكرته ، قبل أن يموت
مباشرة . . . ودون أن يتمكن من إنهاء كلامه . (فترة
صمت) هذه الأمنية سوف تتحقق . نحن ، لويجي
روكو ، نتحمل المسؤولية كاملة لتحقيقها . (تتوجه
البنادق أكثر فأكثر ويبطئ دائماً صوب السكرتير)
سوف نعرض على ابنه . . . ولو بزيارة ورعة للمقبرة . (فترة
صمت) والآن ، نطلب إليكم أن تحتفظوا بهدوءكم
ورباطة جأشكم . طبقاً للأبحاث التي أجريت والعصر
الذي وقع فيه الحادث ، فإن ثلاثاً من نساء بلفنتو من

المحتمل أن تكون إحداهن أمًّا لهذا الطفل .. (تصير البنادق في وضع تهديد أكثر فأكثر) وهن مدام سكاراملا ومام باربي ومام بيكالوجا . إننا نذكر أسماءهن ونحن نرعى العيون ولا نفكر في شيء ، إلا في الرغبة الإلهية التي لا يمكن ردها . (يسدد الفلاحون بنادقهم بصورة حادة نحو السكرتير ، الذي يدرك خطورة الموقف ، فيتوقف فجأة عن القراءة ويضيف من عنده وهو يتعلم) : شخصياً . . . أرى . . . أن فضيلة . . . هؤلاء السيدات الثلاث . . . فوق . . . كل شك . . .

الرجال الثلاثة : (مستعدون لإطلاق النار) .

. . .

السكرتير : (يرتعد خوفاً ويثن) آآآ . . . آآ . . . آآ . . .
العمدة : (يقفز ويقف حائلاً بين السكرتير والبنادق . يضع يده على خصره ، وينظر إلى الفلاحين الثلاثة بتحد ، ثم يقول ببطء وهو يضغط على الكلمات) إنه يترك لابنه ثروة طامعة ! . . .

(يتبادل الفلاحون الثلاثة نظراتهم وبطريقة لا إرادية يخفضون بنادقهم إلى جوارهم . يدخل العمدة ويتبعه السكرتير ، إلى دار البلدية . يظل الفلاحون مثبتين في

أماكنهم دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة . وبعد لحظات
يظهر السكرتير) .

السكرتير : (يطل من فتحة الباب ، ويقول بلهجة من يفشى سرّاً
وهو يكاد يلهث) التقود في دار البلدية . . . داخل
خرج . . . سوف تسلم بدأ بيد . . . عجلوا بالاتفاق ،
وإخبارنا عن يكون ابنه . . . قبل أن تتدخل العدالة .
إننا نتمتع هنا بكثير من الحظ لأننا بعيدون ويمكننا أن
ندبر أمورنا . . . (فترة صمت) ابنه بسرعة ! . . .
وإلا سيؤول كل شيء إلى الملك ! . . . (يهمس وهو
يزداد اضطراباً) في الخرج ، يوجد ما يكفي لشراء نصف
صقلية ! . . . (يتلفت قبل أن يخرج) ولا تقل بعد الآن
إني داعر يا سيد باربي .

يسدل الستار

اللوحة الخامسة



نفس الديكور . الوقت ليل ترصعه
النجوم فوق ساحة القرية . يذرع بيكالوجا
المكان طويلاً وعرضاً وهو حزين مهموم . بعد
لحظة تلتحق به زوجته روزا . الصغيرة أنا تنام
تحت جذع الشجرة التي تعلق عليها صورة السيد
جالار . لا تلاحظ الشخصيتان وجودها .

المشهد الأول

روزا وبيكالوجا

روزا : ماذا تفعل هنا أثناء الليل ، كرجل ضائع أو شبح ينتعل
حذاء ضخماً ؟

بيكالوجا : (لا يجيب ويجلس فوق جذع شجرة) .

. . .

روزا : بيكالوجا ، زوجتك هي التي تحدثك . (تقرب منه)
فيم تفكر ، وحدك ؟ (تتلفت حولها) مع هذه الخفافيش ،
ذات العيون الحمراء ، التي تضرب الهواء كقطرة المطر ؟
أنت ، سيد الكرز ، ورجل الألوان الماهر ، كما يدعوك
مصورو باليرم عندما يزورون بستانك .

بيكالوجا : ألف سيجارة كما ترين .

روزا : لماذا تدخن في جنح الليل ، مثل المهمومين أو الذين
ينتظرون الأحلام ؟ . . . أنسيت أن الغروب قريب من
الصباح بالنسبة لمن لديه عمل ؟

بيكالوجا : ألف سيجارة وأصابعي ترتعش وهذا ما يفضيني ويجعلني هكذا .

- روزا : ومنذ متى ترتعش أصابعك ، أنت الذى تعرف كيف
تمسك نفسك فوق سلم مرتفع وتعلم بطرف ذراعك
الأغصان الرفيعة التى تشبه القمح ؟
- بيكالوجا : (بضعف) أوه روزا .
- روزا : لا تنادنى بـروزا بعد الآن ، وإنما بأى اسم آخر ،
ما دمت قد أصبحت شيئاً يساء معاملته وأصبحت أقل
شأناً من خادمة . وهل ينبغى أن أكون طيبة فأشغل بالى
بأمرك بعد الآن . (فترة صمت) آه ! عندما كنت أسمع
وقع خطواتك وهى تهيم بالخارج . . . كمثل عربة أصابها
العطب ، فى سكون الليل .
- بيكالوجا : من له قلب ثقيل يصبح ثقيلاً فى مشيته ، كما تعلمين .
- روزا : (بعد فترة) احذريا بيكالوجا . إن القدر ينصب لك فخاً .
- بيكالوجا : من الذى يتحدث عن القدر ؟ أنا أم أنت يا روزا ؟ ...
ترتدين ثوبك الوردى وأنا أرتدى السواد حتى عظامى .
- روزا : إنه ثوب كل يوم . لماذا تجده اليوم مختلفاً وتجعلنى أعتقد
بأنى أسأت التصرف ؟
- بيكالوجا : ومن أجل من تلتفين شعرك حول أذنك ؟ . . . بينما لا توجد
نسمة واحدة ، هنا . . . بل هو السكون المطبق .

روزا : هذا هو شعري طوال الأسبوع . ألمه عندما أذهب يوم الأحد إلى الكنيسة بصحبتك .

بيكالوجا : أقول إن هذه الحاصلات المجنونة المهوشة ليست لامرأة من بيت طيب (فترة صمت) ففي الأحراش تحتفى الثعابين .

روزا : الثعبان في داخلك أنت الليلة يا بيكالوجا ، إنه يخرج من فك .

عار عليك أن تشير إلى ثوبي البالي وشعري الذابل لتزيد من تلطيفي . (برقة مفاجئة) كأنه لم يكن يكفيك

أن أظهر أمامك بروحي . (تغير من إيقاع صوتها) هيا

نعد . وسيكون بوسعك أن تتحدث عن السيد جالار ،

وتخلط ما تسميه أكاذيبي بثنائمك . هيا . . . ألمح ضوءاً

في أحد المنازل . لسنا وحدنا في هذه الساحة . . إن

آل باربي ليسوا نائمين هم أيضاً . (تلتقي من بعيد نظرة

على صورة السيد جالار . وبعد فترة صمت تقول : آه !

لماذا جئت تموت هنا ، أيها الغريب .

بيكالوجا : دعيه ، دعيه يا روزا ، إنه ينظر دون أن يرى . . .

وينصت دون أن يسمع . . بما أنه تحت الأرض ،

بصحبة القواقع .

روزا : كما تريد . لكن مما خلقت ، حتى لا تأخذك الشفقة

يرجل مات قبل أن يعثر على ابنه ؟ . . أنت الذى لا تزال
على قيد الحياة ، ولك ابن .

بيكالوجا : . . .
روزا : كيف يمكنك ذلك ؟ . . . أنت يا سيد الكرز . . .
العادل .

بيكالوجا : (بصوت ضعيف) حقاً .
روزا : (ترفع عينيها وتنظر إلى المنازل فى الساحة الصغيرة)
اسمع صيحات تصلح عن بيت سكارامللا . . . وصرخات
فى بيت باربى . . . يا للتعساء . (مخاطبة بيكالوجا) :
دع إذن هذا الكابوس للآخرين . هيا ، يا بيكالوجا .
لنعد إلى البيت . زوجتك بريئة ، وليس بدقات الطبل
ومهاجر نازح من بريسان محملاً بالذهب . . . ستقبل
زوجتك أن . . .

بيكالوجا : (بشدة) هذا صحيح ، هذا صحيح .
روزا : (تواصل حديثها) . . . يلطخ شرفها (بعد فترة صمت ،
تقول بهمس) احمى يا زوجى .

بيكالوجا : (يضعف ورقة ، دون أن ينظر إليها) روزا . . . يا وردتى
الصقلية . (بعد فترة صمت ، وبصوت جاد) اسمعى . . .
(يرفع صوته) ولئن أتعاذى بذلك مطلقاً . . . اسمعى هذا

يا روزا : إلى اليوم الذى تسبلين فيه عيني . . . وإلى الأبد . . . لن أحتقر إلا نفسي .

روزا : ولماذا ؟

بيكالوجا : لماذا ؟ (يصيح فجأة) كان يجب على " أن أطلق النار . . .

كان ينبغى على " أن أطلق النار . . . بصرف النظر عنك ،

يا روزا البريئة ، وعن السيد جالار أو ابنه . . . كان

ينبغى على " أن أطلق النار . . . أبصق على العمدة

بينديتى . . . عندما أعلن علينا كما لو كان يتحدى :

« إنه يترك لابنه ثروة طامحة - لة . » (فترة صمت ثم

يقول وهو يغير لهجته) أنا ، الرجل البسيط الذى أفكر

بيدى (يصيح) كان يجب على " أن أطلق النار على هذه

النقود التى كان يعرضها علينا . (بصوت منخفض كأنه

يخاطب نفسه) ربما كنت عندئذ . . . مخلص البشرية .

والآن ، فات الأوان . . . لقد أخفضت بينديتى . . .

أنا والآخرين . لم يفرغ أحدنا سلاحه وهو يصيح :

« هذا من أجل المال ، يا سيد لويجي . أما الباقي ،

فسرى فيما بعد . » (يضع رأسه بين يديه ثم يقول بعد فترة

صمت) فيم كان سيفيد كل هذا ؟ . . . كنت ستلقى

فى السجن ، أنت ، يا مخلص البشرية . . . زوجتك

وابنك في حاجة إليك يا بيكالوجا . . . ابنك الذي هجر
سقلية لأنه لا يوجد كرزيكفي ثلاثنا .
هذا صحيح .

روزا : (تمرر يدها برقة فوق شعر زوجها) .

. . . .

بيكالوجا : (بعد فترة صمت ، ينهض ، يتقدم بضع خطوات ثم
يقول فجأة) ما اسم ابني ؟

روزا : (مندهشة) ماذا تقول ؟

بيكالوجا : (متجهاً ناحية زوجته ، وابتسامة خفيفة على جانب
شفتيه ، ووجه عابس تملوه الكتابة) ما اسمه ؟

روزا : تريد أن تلهو يا بيكالوجا ؟

بيكالوجا : (لا يزال عابس الوجه) قولي اسمه ، ما دام هذا يسعدني .

روزا : أونريكو .

بيكالوجا : وماذا أيضاً ؟ (بلهجة جافة) . . . عندما كان يزداد
حبنا له .

روزا : ريكو .

بيكالوجا : (متصنعاً) انظري . لم أعد أذكر هذا الاسم الصغير . . .
الناصر كالبندقة . . .

روزا : (تشير بيدها) عندما كان ارتفاعه لا يزيد على هذا .

- بيكالوجا : (يدبر رأسه ويمسح بسرعة قطرة دمع) كل هذا يبدو صحيحاً . (وفجأة يعاود تصنعه) وأين هو ، هذا الابن ؟
- روزا : إنك تعلم جيداً . فى المكسيك الجديدة .
- بيكالوجا : من هى الجديدة ؟
- روزا : نهايته . . . إنك تقرأ خطاباتك مثلى . (فترة صمت)
والخطاب الأخير فى جييك .
- بيكالوجا : ليس فى جيبي غير هذا المنديل ذى المربعات . (يبرزه وينتظر الفرصة ليتمخض . ويقول بعد فترة) لماذا تكون المكسيك جديدة ؟
- روزا : آه ، لا أعلم شيئاً .
- بيكالوجا : حسن ، ولا أنا . (بعد فترة) وماذا يفعل ابننا فى ذلك الأفق البعيد ؟
- روزا : لأنه عند العم بيزا Pisa ، فى ميتشيو .
- بيكالوجا : يا له من شقى خليع ، هذا العم . فى مهنته . . مهنة كسار الزلط وكذلك . . . الفك . لم أر فى حياتى قبضات (يظهر قبضته) فى مثل ضخامة قبضة أخى بيزا . (فترة صمت . بلهجة ألمية غامضة) لن يتعلم ابننا الأدب بصحبته ، هيه يا روزا ؟ . . . انتظرى لحظة . سرى ذلك عن قرب (يخرج من جييبه خطابات وخطابات) .

روزا : . . . :
 (مخاطباً روزا ، وهو يخشى عتابها لأنه ادعى منذ برهة
 أنه لا يحمل أى خطاب لابنه) وبعد ، دعيني في هدوء !
 (يفض خطاباً) هذا الخطاب ليس بقديم للغاية .
 (يقترب من أحد المنازل بالساحة ، حيث ينبعث من
 النافذة قليل من الضوء . يقرأ) « . . . نعيش في مزرعة
 حظيرة . . » (يتوقف ، يحط شفثيه ليبين أنه لا يفهم
 معنى الكلمة ، ثم يواصل قراءته) « . . . أو إذا شئت ..
 فنحن مزارعو حظائر . . . » Des Rancheros (مخاطباً
 روزا) : وهذه الكلمة أيضاً لا أفهمها . (يقرأ ببطء أكثر
 بسبب قلة الضوء) « . . . في السهل آلاف الحيوانات
 ذات القرون تقضم العشب . . . أرتدى قبعة من القش في
 شكل البرج . . . الشمس حامية مثل الفلفل الأحمر . . .
 أسمع صرخة صادرة من البار فأهرول نحوه . . . العم بيزا
 قتل لتوه حارس البيت . . . » (يقطع قراءته ويقول بلهجة
 ألمية) أ رأيت يا روزا ، أ رأيت ! . . . (يستأنف
 قراءته) « . . . الرجل مطروح أرضاً ، وفي يده مسدس
 لم يستعمل بعد . . . » (يقطع قراءته ، ويرفع ذراعاً إلى
 السماء ، ثم يقرأ من جديد) « لقد شتم العم بيزا

ضابطاً . . . وقال له : رح في داهية أنت وحكومتك . . .
 ثم سحق أنفه بين أصابعه . . . « (يتوقف عن القراءة)
 رأيت يا روزا ، رأيت ! . . . (يقرأ) » دخل العم بيزا
 محل بقالة . . . كان يبحث عن شخص يدعى بانشو .
 أما بانشو الذي كان موجوداً بالحل . . . فقد قفز من
 النافذة . . . « (يتوقف عن القراءة ، يتهد ثم يخاطب
 روزا) : وهلم جراً ! . . .

روزا : لكن ما هي نهاية هذا الخطاب ؟

بيكالوجا : « قبلاتي الحارة لكم . (فترة صمت) أوزريكو » .

روزا : وبعد ذلك ؟

بيكالوجا : (يقرأ بهدوء مغيراً لهجته) . . . « لقد أعطاني العم بيزا ،

فرانك . . . سيصلك نصفه كل أسبوع . . . إنني

أحتفظ بهذا المال لأبعث به إليك قريباً » . (يعيد

الخطاب إلى جيبه ، ثم يجفف في الحفاء دمعة على طرف

عينيه) .

روزا وبيكالوجا : (يجلسان الآن معاً على المقعد ، ويتبادلان الصمت في

ذكرى ابهما) . . .

بيكالوجا : كم كان عمرك عندما عرفتك ؟

روزا : ستة عشر ربيعاً . وأنت ، كنت في العشرين من عمرك .

- بيكالوجا : كنت فى العشرين ، منذ عشرين عاماً ! لكم يتعارض
 الشيطان المتشابهان ! . . .
- روزا : الزمن عجوز يتمتع بمكر الأطفال .
- بيكالوجا : يريد أن يلعب .
- روزا : ولذلك تبقى الأرض مليئة بالأطفال ، ولا تشيخ أبداً .
 أما نحن . . .
- بيكالوجا : (بعد فترة صمت) لانشيخ أبداً مادمننا معاً . فالكبر هو
 الوحدة قبل كل شىء . (يلقى بنظرة على صورة السيد
 جالار) هل كان مجيئه إلى بلفتو لا بد منه . . . هذا
 السيد ، لكى أتعذب ، وأفكر ؟ . . . وأحدثك ،
 يا روزا ، كرجل قرأ كثيراً من الكتب ؟
- روزا : قل له كلمة رقيقة ، ما دمنا الآن سعيدين . . .
- بيكالوجا : (يقرب من الصورة ، يردد ، ثم يقول بصوت خافت)
 مساء الخير ، يا - سيد جالار . أنا لأأحقد عليك . . .
 إكراماً لابنى .
- روزا : بيكالوجا ، أيها العادل !
- بيكالوجا : والآن ، لنغادر هذه الساحة يا روزا . . . هيا بنا نمشى
 تحت الأشجار ، ولنترك بهيمة الليل السوداء تعزف على
 وترها ، حتى يطلع النهار .
- (يخرجان) .

المشهد الثاني

لورا وسكارامللا

(تصل لورا وهي تجرى في ساحة القرية بكل ما فيها من
قوة ، وقد تهدل شعرها وتمزقت سترتها) .

سكارامللا : (يتبع زوجته وهو زائع البصر كالمجنون . يحمل آلة
« المندولينا » . لا يكاد كلامه يفهم ، لشدة ثورته) . سوف
ترقصين... سوف ترقصين... وتنتشرين كضوء المصباح ...
وتسيلين كقطرات الماء . . . سوف ترقصين . . . وتدورين
في كل اتجاه ... وتتعرين حتى نهاية ثوبك ... ها هي ذى
الماندولينا . . . (يضرب الأوتار وينتزع منها أصواتاً
محشجة وغير واضحة) ارقصى ، قلت لك ! . . . إن
الموسيقى شقيقة الضياع ! . . . سوف ترقصين . . .
ارقصى كما كنت ترقصين عندما التقيت بك لأول مرة
في الغابة . . . وكنت أنا شاباً يافعاً أرتدى قبعة رمادية ...
لورا : (بصوت مهالك) كنت بمفردى ، وكنت أرقص لنفسى .
سكارامللا : كانت الأشجار ترمقك . . . وكانت ريح السماء تعلق
جسدك كله ، أيتها الكاذبة ! . . . (يضرب الماندولينا)

ارقصى قلت لك . . . ارقصى كما ترقص الأرض اليابسة
عندما تمطر السماء . . . (يزوم) ألا تريد أن
ترقصى ؟ . . . ارقصى حتى تخرج روحك من فك !
لورا : (تطلق صرخة ألمية) ها آآآ ! . . . (ثم تقول بصوت
منهك) أنت مجنون !

سكارامللا : مجنون من العار ومن الغضب . . . مع الماندولينا . . .
(يخرج من جيبه بعنف عقدين وحزاماً) قولى لى . . .
وهذان العقدان (يلوح بهما) اللذان وجدتهما فى دولابك ،
وهذا الحزام المرصع باللؤلؤ ، والذي تلبسه نساء المدن . . .
من حصلت عليها ؟ . . .

لورا : منك (بإشفاق واضح) عقدان من الخرز وحزام من الصدف
طوال عشرتنا . . . أليس كذلك ؟
سكارامللا : (يترك الماندولينا تسقط من يده ، يجلس فوق جذع
شجرة ، وقد نال منه التعب)

لورا : (تتوجه ناحية صورة السيد جالار ، وباندفاع يشوبه
الغيظ تقول) انظر لى . . . استمع لى . . . هل التقيت
بك مرة واحدة ؟ . . . هل رأيتك قط ؟ . . . هل تحدثت
إليك قط ، أيتها الورقة السوداء المطعونة بسكين ؟ . . .

آه ، أجب ! . . . إن حياتي معلقة هذه الليلة بنحيط ،
 إنها معلقة بأوتار هذه الماندولينا . . . أنت الذى قد
 مات . . . ويراك الجميع شاباً . . . أرأف بحالى ، أيها
 الساحر ! (تسقط لإعياء عند جذع الشجرة) .

سكارامللا : (بنظرة شرسة وصوت بطيء للغاية ، وملىء بالمعاني الخافية)
 سوف يينزغ القمر ، يا لورا . . . ليس من الخير أن
 تبكى تحت القمر . . . إن الدموع تتحول إلى حبات
 كبيرة من الملح . . . وتلهب العيون . . .

لورا : (تتحب بصوت خافت) . . .

سكارامللا : حاذرى ، يا لورا ، من ضوء القمر ! . . . (يخاطب
 نفسه بلهجة غريبة) شقيقتي لم تعد ترى . . . بسبب
 القمر . . . صحيح أنها كانت ترقص مثلك . . . (فقرة
 صمت) اسألى ، زوجها ، عما جرى لشقيقتي ، فيما مضى .

لورا : لن أهجر جذع هذه الشجرة ، إنها باب موتى .

سكارامللا : لا تتعجلى الأمر . . . فلا يزال أمامنا ما نقوله . . .
 ولا يزال الصباح بعيداً . حاذرى من خيوط القمر الحريرية
 يا لورا . . . تلك الخيوط التى تفتقأ العيون . . .

لورا : (تهب واقفة وتطلق صرخة) آه ! . . .

سكاراملا : (بعين حادة يبدأ في تهدئة كلامه) هذه هي قصة شقيقتي . . .

لورا : لا . . . ! لا . . . !

سكاراملا : كفى إذن عن الصراخ ، إذا كنت تخشين من أن أقصها عليك . ابقى في هدوء مع خطيئتك . لا تصرخي بعد الآن ! فساحة القرية خالية . والجميع يغطون في النوم . (فترة صمت) تكلمي الآن يا لورا ، تكلمي قبل أن يبرز القمر ، ذلك الوجه بغير عيون . . . نور الزمان . لورا : ما الذى يجب أن أقوله أيضاً ولم أقله بعد ! . . . أين أجد أسباباً جديدة ؟ . . . أيها السيد الشرير ، والرفيق القاسى ! . . . للمرة الأخيرة ، أقسم بالصليب الذى أضعه داخل صدرى ، وبالصلبان التى ترسم فى الهواء بالأصابع وهى الصلبان الحقيقية ، لأنها روحية (تشير إلى الصورة) إنى لم أر هذا الرجل فى حياتى (فترة صمت) والآن ، سأرقص ، إذا شئت ، بكل هذه الصلبان حولي .

سكاراملا : (وقد عاد إلى هدوئه فجأة) آه ، إنك تنعشيني عندما تتكلمين هكذا . . . كلا ، لن ترقصي وسط هذه الصلبان جميعاً . . . يا لعارى ! هاأنذا قد هدأت . تعالى !

ستحدث كصديقين يصادفان بعض الهموم ، ولكن بدون قلق . (يتسم بركة) لورا ، إن القمر طبق من الفضة دائماً ما ينكسر .
لورا : (لا تحرك ساكناً) .

...

سكارامللا : (يتوجه ناحيتها) من ذا الذى أثنك بالجراح هكذا ...
من الذى مزق ثيابك ؟

لورا : (هامسة) ليس أنت .

سكارامللا : من ذا الذى جعلك كالشحاذة ؟ ... زوجتى المسكينة ، من الذى تسبب فى تفجير الدماء على حافة شفيتك ؟ ...

لورا : ليس أنت !

سكارامللا : (وهو يستشهد بالليل) أيها الليل الرقيق كخيوط العنكبوت الفضية ، انس ما رأيت .

لورا : (وهى تخاطب الليل بدورها) كفى .

سكارامللا : ألقى بظنوني وجنوني فى البحر ، مع الأمواج التعمسة .

لورا : انس هذه الليلة ، أيها الليل الرقيق !

سكارامللا : (وهو لا يزال ينظر إلى السماء) سر فى طريقك أيها الليل .

لورا : أيها الساعة القديمة إن كل دقيقة فىك تتلأل .

- سكاراملا ولورا: (معاً) أيها الليل ! . . . انس هذه الليلة .
- لورا : (بعد فترة صمت) وها نحن أولاء قد صلينا معاً ،
على ما أعتقد .
- سكاراملا : واجتمعنا من جديد (يمسك السلسلة التي تحيط بعنق
زوجته) حول صليبك الفضي الصغير ، أنا وانت ،
كأنا في فراش . . .
- لورا : وعادت ساحة القرية مألوفة لنا بأشجارها . . .
- سكاراملا : (ينظر إلى الصورة) فيما عدا هذا المشنوق . . . الذي
لم يعد يتأرجح . (بعد فترة صمت) . لكن كيف جاء
إلى بلفتو ؟ . . . من ذا الذي أحضرك ، إلى هنا ، ذات
ليلة وانصرف ؟ . . . كيف جاء ، يا لورا ؟ . . . هذا
البغل الأعرج ، بحمله الذهبي . . .
- لورا : (توصل الكلام) وآلامه .
- سكاراملا : آه ، إن الشيطان يخدع الناس جميعاً في هذه الحياة .
- لورا : بما أنه يجعلنا نمقت الآن شخصاً غريباً . . . لكم أحب
أن أراه يموت مرة أخرى !
- سكاراملا : لا يوجد فوقه تراب كاف في مقبرة بلفتو .
- لورا : قليل من زهر القرنفل وقليل من الدبابير ! . . .

- سكاراملا : وكثير من الرحمة ! (يفسر قوله) خمسون شمعة عند دفنه ، هل رأيت ، يا لورا ؟ . . . والأب أورورى فى المقدمة ، كان يبدو أنه يجذب كل الموكب نحوه هو ، وهو يصلى باللاتينية إمعاناً فى الأبهة ! (فترة صمت) إنى أتساءل من أين سيختار الله الخوريه .
- لورا : الأب أورورى لم يرفض على الإطلاق أن يشيع جنازة فقير .
- سكاراملا : أجل . . . أجل . . . لكن كيف ؟ بقبعة من القش فى الصيف ، وفى الشتاء بكوفية حول العنق . بسبب البرد . وهو مساء طول الوقت ، يتقدم بخطوات غير مستقرة ، كما لو كان الإيمان فى حاجة إلى عكازين .
- لورا : إنه رجل مسن .
- سكاراملا : ومع هذا كان يبدو فى أوج الشباب . . . عند دفن السيد جالار ! عين ممتلئة بالحياة كورق الخس وخطوة نشيطة ولحية كأنها مكوية . أغلب الظن أن البخور يتعاطف مع الثروة .
- لورا : ربما كنت على حق ، ولكن . . .
- سكاراملا : ولكن لماذا ؟ لقد شاهدت جيداً دفن السيد جالار . لقد كان مولد ثروته ! هل تذكرين الحديث الذى ألقاه

الأب أورورى أمام القبر : « اعلموا أن الثراء كالفقر ،
مثال فى حد ذاته ! »

لورا : أنت على حق ، ولكن احترم خورى قريتك .
سكاراملا : (خارجاً عن طوقه) هل تعلمين ما قاله ، خورى قريتى ،
لنيكولا العجوز ، وهو يتحدث عنا ؟ « فليسرع هؤلاء
الرجال الطيبون ، وإذا كانوا يشعرون ببعض الحساسيات
فى تصفية هذا الموضوع ، ذكرهم بأن موسى كان
يركب قرنين ويقدم الوصايا العشر فوق الجبل ، وبأن
موسى ليس أول المنزلين ! »

لورا : (تخاطب نفسها بصوت خفيض) أين أنت ، يا وجه
المسيح السمع ؟ . . .

سكاراملا : آه ، حقاً ، من السهل أن نقول ذلك .

لوزا : والسنيور لويجى ، العمدة ، ما فكره فى كل هذا ؟

سكاراملا : إنه لا يفكر . يتكلم بالحق أحياناً .

لورا : لكن ماذا يقول هو أيضاً ؟

سكاراملا : (بحركة مبهمة) إن المهاجرين يخلقون مشاكل فى الذهب

والإياب . . . وإنهم يتركون بلادهم كالنباتات فى

الأصص ، ويعودون إليها أشبه بأشجار الفرو العملاقة ..

وإن بلفتتو فى حاجة إلى روح الإقدام والمهارة اللذين

يتحلى بهما السيد جالار في أعماله ، وذلك لأجل إبتدائها
ورفاهيتها . . .

لورا : كيف؟

سكارامللا : أى نعم ! إن الإنسان لا يموت عندما يملك المال . . . إنه
يغير طريقته فقط . . . (يرفع صوته) وهكذا يستمر
الحال ! (فترة صمت قصيرة) طالما أن الناس لا يدفنون
مع ثرواتهم ، فلن تكون هناك عدالة ولا حضارة . وأرجو
ألا تفترضوا أنى سبب النية !

لورا : لماذا يحوم الناس جميعاً حول تركة السيد جالار ، ما دامت
لا تقول . . . إلا إلى ابنه ؟

سكارامللا : إن مصاحبة الثروة تبعث على الانتعاش والابتهاج ، على
ما يبدو . . . إنها أشبه بالجو الصحو ، يستفيد منه الجميع ،
إذا صح هذا القول . كان بينيفيكو ، ذلك الحارس اللعين ،
يقول يوماً ، إنه لم يضحك في نابولي أبداً كما ضحك
وهو بصحبة الميسرين . ومع هذا لم يكونوا يعطونه شيئاً .
(بعد فترة صمت يقول بهدوء) إن مال الفقراء حزين .
لورا : (تطأطئ الرأس) .

سكارامللا : ولكنى أضيف قائلاً بأن شرف الفقير يساوى عمدة

وخوريًا ! . . . وأنه لا يوجد شرف إلا ويكون صاحبه فقيراً قبل كل شيء .

لورا : هدى من روعك ، أرجوك . إن ما نملكه نحن ، لا يستطيع أحد أن يأخذه . (بجنان بالغ وهي تتوجه نحوه) ضع يدك على خدي . . . (وهي تنظر إلى السماء) وعلى الليل الجميل وهو في موضعه كميزان عادل . . . سكاراملا : أن يضع عليه على خدك الآخر .

(يسمع في الغابة صوت هارمونيكا . سكاراملا ، الذي كان يتقدم ناحية زوجته ، يتوقف فجأة . ينصت وقد ثبت في مكانه وهو يضغط على أنيابه . أما لورا التي اضطربت فلا تحول عينيها عن زوجها) . إنه بينفيكو ، ذلك الحارس اللعين ، يمر في الغابة . . . بصحبة موسيقاه . لورا : (تتقدم خطوة نحو زوجها) .

. . .

سكاراملا : لا تتحركي (يقطب جبينه) لا أحب الاستماع إلى هذه الموسيقى . . . إنها تذكرني بأشياء لعينة . (يتجه ناحية المكان الذي تنهاى منه الموسيقى ويتوقف . يتوقف اللحن فجأة ، ثم يستأنف بعد لحظات) .

لورا : لحن طفل في قم رجل عجوز .

سكارامللا : ولو كنت تعلمين ما قاله لي بينيفيكو مؤخراً . . إنه هو
الذي دفعني إلى التفكير في هذه الأشياء اللعينة !
(يستمر اللحن ساخراً) .

سكارامللا : اجمعي بعض الحجارة الكبيرة ، يا لورا . (يصيح)
أعطني حجارة . (تنظر لورا مشدودة إلى زوجها ، دون
أن تتمكن من الفهم . تتوقف الموسيقى ، ثم تستأنف
وأخيراً تختفي . (سكارامللا مخاطباً نفسه) ما هوذا الخوف
يتتابني من جديد والقلق . . . كل شيء يعود ! . . .
كما لو كنت أمام حقل كبير غير محروث ، على أن أقلب
تربته الصلبة بيدي . . . إني أختنق ، وأشعر باليأس . . .
أشبه بعصفور يطير في الماء . . . ويغرق .

لورا : ؟ . . .

سكارامللا : (يقول وهو يلهث بدون مقدمات وبطريقة وحشية) أي
أبنائنا الثلاثة ليس ابني ؟ . . . لا تنطقي اسمه . . .
لا تسمى شعرة واحدة من رأسه . . . قولي فقط في أي بلد
هو . . . بما أن أبنائنا الثلاثة قد هجروا صقلية . قولي اسم
البلد فقط . . .

لورا : ! . . .

سكارامللا : . . . وأسأشكرك لأنك تحدين من ألي . (فترة صمت)

أى أبنائي الثلاثة ليس ابني ؟ . . .

لورا : (وقد خرجت عن طوقها) ما دام ما تقوله ليس صحيحاً ،
أجيبك : هو الذى تحبه أكثر .

سكارامللا : الذى أحبه أكثر ؟ . . . إنه يعمل بناء . يضع أسوداً
من الحصى على واجهات المنازل . . . وهو معلق بالحبال ..
على مسافة مرتفعة ، فى السماء . (فترة صمت) إذن ...
لتدوب الحبال ، فى هذه اللحظة ذاتها وتنقطع . . .
لورا : ! . . .

سكارامللا : وليسقط . . . كدمية صغيرة .

لورا : (تزحف عند قدمى زوجها) لا تقل هذا ، أيها القروى ،
لا تكرر هذا القول . أيها التعمس ! من الجائز أن يأخذ
القدر بكلامك - هناك الوقت نهار الآن حيث يقوم
ابنك بعمله ! (منتحبة) دع ابنك مع الأسود .

سكارامللا : فليسقط !

لورا : (عند قدمى زوجها) لتماسك الحبال . . . لتماسك
الحبال ! . . .

سكارامللا : (بصوت منخفض ومتواصل . مخاطباً نفسه بعد فترة)
لتماسك الحبال . . . أجل ، لتماسك الحبال ، يارب !

(يخلص قدميه ويتوجه ناحية البيت ، دون أن ينظر إلى لورا) .

لورا : (تنهض وتتبعه) أيتها العذراء ، ذات العيون السود ، الرقيقة كالحبز . . . احميني ، احميني ! . . . تعالى غداً . . . وليطلع النهار من جديد !
(يخرجان)

المشهد الثالث

آنا وشخصيات حلمها ثم سيتثيرو

(عند جذع الشجرة ، تبدأ الصغيرة آنا في حلمها . إضاءة الأحلام الواقعية واللاواقعية . موسيقى تذوب رقة ، تنتهي من بعيد) .

آنا : (تنهض وتتلفت حولها) .

. . .

السكرتير : (يظهر فجأة ، جامداً كالتمثال في أقصى الساحة . يرتدى زياً عسكرياً له صفان من الأزرار الفضية . يندق الطبل بعصية . لكننا لا نسمع أى صوت) .

. . .

أنا : (تنظر إلى السكرتير الذى لا يلبث أن يحتفى) .

...

الفتى صاحب الصورة : (يظهر فى أقصى المسرح) .

...

أنا : (تلتقى عينها بعيني الفتى . تبسم له) .

...

الفتى صاحب الصورة : (يتقدم نحو آنا ، ببطء شديد) !

...

السكرتير : (يظهر فجأة ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً وفجأة يحتفى) .

...

لورا ، روزا ، ماريان : (يظهرن ، يجلسن ثلاثهن فوق المقعد . يبدوون متأنقات على طريقتهن ، يلبسن قبعات ويضعن أوشحة على وجوههن .

...

أنا : (تتطلع بقلق وغيره صبيانية إلى الفتى الذى يراقب النساء الثلاث) .

...

الفتى صاحب الصورة : (يلتفت ناحية آنا ، يهز رأسه برفق كما لو كان

يقول « لا » ويتسم للفتاة الصغيرة) .

...

آنا : (تتوجه ببطء ناحية الفتى الذى يأخذها بين ذراعيه ، ويرفعها ويطلع قبلة على وجنتيها، كما يقبل المرء طفلة صغيرة) .

...

الفتى صاحب الصورة: (يمسك آنا من يدها ، ويتقدم بها إلى أقصى المسرح للخروج) .

...

السكرتير : (يظهر فجأة ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً ، وفجأة يختفى) .

...

آنا والفتى : (فى الوقت الذى يغادران فيه ساحة القرية ، يعترض طريقهما ، إلى اليمين ، سياج ضخيم من البوم الأسود ذى العيون البراقة ، فيغيران اتجاههما .

...

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل دون أن يحدث صوتاً ، ثم يختفى) .

آنا والفتى : (يقابلان ، ناحية اليسار ، سياجاً من العصافير الحمر . يهشها الفتى بيده برفق كما لو كانت نباتات متسلقة

ويغادر مع آنا ساحة القرية) .

...

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل ، دائماً دون أن يحدث صوتاً ، في نفس المكان ، ثم يختفي) .

مهاجر بريسبان: (قابع فوق المقعد ، كما رأيناه في اللوحة الأولى) .

...

آنا : (تعود بدون الفتى ويبدو أنها تبحث عنه . تقع عينها على المهاجر) .

...

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل ، ثم يختفي) .

...

الفتى صاحب الصورة: (يظهر ويذهب ليجلس بالقرب من المهاجر) .

...

آنا : (تقترب من المقعد وبدلاً من أن تنظر إلى الفتى ، تضع رأسها فوق ركبتي المهاجر) .

...

الفتى صاحب الصورة: (يهدد رأسها برفق وهي راكعة) .

...

السكرتير : (يظهر ، يدق الطبل دائماً دون أن يحدث صوتاً ، ثم
يختفي) .

...

الفتى والمهاجر : (يختفيان بدورهما) .

...

الأب أورورى : (يظهر فى شرفة دار البلدية ، يمسك صنارة صيد بيده .
وبعد لحظة يلم صنارته . فى نهاية الحيط تتعلق بومة) .

...

(على حين فجأة ، تتوقف الموسيقى العذبة البعيدة . تعود
الإضاءة إلى حالتها الأصلية . عند جذع الشجرة ، ترقد
الصغيرة آنا) .

سيتشيو : (يدخل حاملاً مصباحاً فى يده ، ينحنى على آنا ويهزها
برفق) آنا . . . آنا الصغيرة .

آنا : (تفتح عينيها ، تدعكهما ، وتتلقت حولها . فى دهشة) .

سيتشيو : اصحى . . . جدتك تبحث عنك . . . تبحث عنك فى
كل مكان ، تلك العجوز المسكينة . هل يفكر أحد فى
أن ينام هنا عندما يكون له حجرة جميلة مع جدته .
نخذى هذا المصباح وانصرفى .

: (تنهض ، تتلفت حولها مرة أخرى وهي تبحث عن شخصيات حلمها) .

(تخرج)

: (وهو على وشك الخروج ، تضاء فجأة نافذة في دار البلدية) غرفة الزواج ! ... (يضع سبابته على الفور فوق جيبته كما لو كانا قرنين ، يقفز قفزة سريعة في الساحة ويخرج بدوره) .

المشهد الرابع

باربى وماريا

(يدخل السنيور باربى تتبعه ماريا التي تمسك بيدها مروحة تهوى بها زوجها وهما يسيران) .

: أعطنى هواء ، وليعطك الله الصحة ! (وهو يسير) ياله من يوم ، ياله من يوم ، منذ ذلك الاستدعاء! كدت أقتل السكرتير كما كدت أقتل العمدة . وعندما رجعت إلى البيت ... كدت أن أقتلك أنت ! هواء ، هواء لو سمحت ! ولكن

لم أقل أيضاً إنى لن أقتل الخورى . (عند هذه الكلمات تهوى
 له بشدة) آه ، هاأنذا الآن غارق إلى أذنى . مفكراً ، متألماً .
 كما لو كنت ملقى في هذه الساحة . المظلمة الآن فيما يبدو .
 هواء ! (تهوى له بأقصى سرعة) . لقد فكرت طويلاً
 منذ هذا الصباح . ودخلت في قرارة نفسى ، ثم خرجت ،
 لدرجة أنى لم أعد أعرف إذا كنت خارجها . . . أو داخلها .
 هواء ! (تهوى له) ليزعموا أن أحد أبنائى هو ابن السيد
 جالار : لست أنا الذى أموت بالسكنة القلبية فى الأربعين
 من عمري بسبب هذه الثرثرة . (يشير إلى الصورة) لست
 أنا الذى يموت مثله ! سكيراً بحكم مهنتى وصانع رشاشات
 فإن الانتعاش صديقى . إنى رجل هادئ . (تهوى له
 بأقصى سرعة وبشدة أكثر) لست أنا الذى يشعل النار
 كبركان سترومبولى Stromboli . هذا صحيح . (فترة
 صمت) هواء ! هواء ! آه يا ماريا ، لو كنت تستطيعين
 أن تهوى بداخلى . (ينهض ، يتراجع بضع خطوات
 كأنما ليحسن الرؤية) لكن لننظر قليلاً إلى امرأتى .
 لأنى . أعترف يا ماريا ، بأنى لم أرك منذ عشرين عاماً
 على الرغم من أنك تعيشين بقربى . كنت أنظر فقط إلى
 فك وأنت تأكلين ، وذراعيك وأنت تنشرين الغسيل ،

وبطنك وأنت تحملين ثمرة . لا بد من الذهاب إلى المدينة
لاكتساب أفكار جديدة (بحركة مفتعلة) ومقارنة المرأة
بالفلفل والعسل مع تشبيهها بالملائكة . أى نعم . ولذلك
يجب ألا يكون المرء بائع خردة مثلك يا باربى ،
ولا بستانياً مثل بيكالوجا أو تاجر ألبان بمزمار مثل سنيور
سكارامللا . (تقع عيناه صدفة على الماندولينا المطروحة
أرضاً) انظرى ! جاء سكارامللا يعزف على الماندولينا
لزوجه . هذا يدهشنى كثيراً . فليس هذا هو الوقت
المناسب (فجأة كأنما يتذكر طلب النجدة) هواء ! هواء !

: (بضجر) هكذا هى حياتى منذ هذا الصباح .

: م تشكين ؟ من أنك تحركين المروحة وتنعشين أفكارى

وتبعدين عنى كل هذا الذباب الطنان الذى ينصحنى

بفعل هذا أو ذاك ، يالى من ماكر كبير .

: ليلهمك الله الحكمة ، يا زوجى ! لكن هواء لا . فالوقت

ليل يكاد أن يكون بارداً . سوف يضحك منا الناس إذا

ما شاهدوا رجلاً ضخماً مثلك تنعشه زوجته بمثل هذه

البلاهة .

: إنها يدك التى أريدها بالقرب منى ، وليس المروحة .

: يدى ؟ تلك التى تحمل خاتم زواجنا ، لقد هجرتها تماماً ،

ماريا

باربى

ماريا

باربى

ماريا

يا باربي المسكين ! إنها في دار البلدية حيث بصقوا على
خاتمنا الذهبي . . . في وجودك .

باربي : (يصيح) هواء !

ماريا : (تواصل حديثها) . . . برغم بندقيتك المحشوة وقوامك
المهيب .

باربي : هواء ! هواء ! هاأنذا أتهم بالجن الآن .

ماريا : لا أعرف ماذا تكون ، يا زوجي ، لكن لن أكون التي
تبعث إليك بالنسيم .

باربي : ماريا ! . . . يبدو أنك كرهتني فجأة . وفيما تفيد الزوجة
إذن ؟ أبحث في كل مكان ولا أرى شيئاً .

ماريا : انظر في قرارة نفسك ، أيها الزوج المذبذب ، الذي

يخبرونه بأن أحد أبنائه ليس ابنه ، فيعود وهو يشعر بالحر
ليس أكثر . (تقلده) هواء ! هواء ! (تمزق المروحة
بغضب شديد وتلقى بها على الأرض) .

باربي : هيه ! هيه ! . . . قلت لك إني كنت سأقتل الخوري .
هذا أكثر مما يجب .

ماريا : آه ! كم كنت أود أن يكون أحد أبنائي (تشير على البعد

إلى الصورة) منه . . لا لشيء إلا من أجل التمتع بإخبارك
بهذا !

باربي : اعترفتي بأني أكثر حيوية . . . وأكثر تعقلا من السنيور
سكارامللا (يشير إلى الماندوليننا) الذي يعزف على ال . . .
(يأتي بمحركة العزف) لزوجته . (بعصبية) هذا شيء
يبعث على الحيرة ! (يتقدم بضع خطوات ، ثم يقول
لنفسه بصوت منخفض وقد انتحي جانبا) إن لم يكن
يفكر في التروة .

ماريا : . . .
باربي : باربي المسكين ! ها أنت ذا مطعون في نصفك فقط ،
ومتهم في شرفك بنصيب الثلث فحسب ، ما دام الأمر
محصوراً بين النساء الثلاث . (مخاطباً ماريا) : حسن ،
لنتنظر ونرّ !

ماريا : أنت حشرة يا باربي ، رجل مشلول الشارب ، حتى إنك
تظل متبلداً هكذا ، بينما تهتم زوجتك بأنها . . . (تخفض
صوتها ولا تنطق الكلمة) .

باربي : يا لله ، ليس الأمر مؤكداً !
ماريا : يا لله ، لقد قيل ذلك في وجهك !
باربي : قسماً بالله العظيم ! لأقتلن الحورى لأريح نفسي ! (بعد
فترة) ماريا ، تعالي واجلسي إلى جوارى فوق هذا المقعد .
لم أعد في حاجة إلى هواء ، ولكنني في حاجة إلى هيب

- متوهج . (يخاطب نفسه وقد انتحى جانباً) ربما كنت عيباً ، لكنى عيبط واع ، كما سئرى فيما بعد .
- ماريا : لن أقرب منك بعد الآن ، فى خير أو فى شر ، اللهم إلا إذا أخذت مقصك الكبير وأحضرت لى لسان العمدة ولسان السكرتير . . .
- باربى : سأحضر لك ألسنة السوء هذه . . .
- ماريا : التى سببى .
- باربى : (يكمل عبارتها بدوره) . . . وطاقيه الخورى ، علاوة على ذلك .
- ماريا : صحيح ؟
- باربى : بكل تأكيد . (فترة صمت) ليتنا نتحدث الآن عن شىء آخر . فكفانى ما أعدده من جرائم . إن القضاء والأراضى المترامية الأطراف تصلح جميعاً لتنفسى العميق (بعد فترة) أغلب الظن أن أستراليا ، هى جزيرة السيقان والريح ! . . . فالكل يقفز والكل يفر هناك . والنساء طويلات . . . (يضغط على هذه الكلمة ويمط فيها) .
- ماريا : ؟ . . .
- باربى : لدرجة أن مجموعة من السيدات تبدو فى الغابة كمجموعة من الرؤوس فوق الأشجار . إنهن طويلات للغاية (يمط

في الكلمة). أما الرجال فقصار القامة . ولهذا لا تسير الأمور .
(فترة صمت) من الممكن أن أكون أنا، سيدة أسترالية
حقاً.

ماريا : يا له من بلد غريب ! (تلقى من بعيد ، بنظرة على صورة
السيد جالار) .

باربي : لقد رأيت نعيش السيد جالار ، لم يكن طويلاً ولا قصيراً ،
خذى بالك ! كان معقولاً للغاية . وعندما لا يكون المرء
كبيراً أو صغيراً ، فإنه يصبح مواطناً أسترالياً صالحاً طبقاً
للوائح .

ماريا : لا شك أن قوامه كان معتدلاً .
باربي : وقد أثبت الداعر ذلك ، (يغرق في حلم ، بعد فترة)
لكن في النهاية ، كيف يحدث هذا ؟ !

ماريا : ماذا ؟
باربي : أتكلم لأرواح عن نفسي ، يا ماريا . (يعود إلى فكرته
ويرفع صوته) كيف يحدث أن أناساً مثلى أو مثلك ،
يا ماريا ، أو مثل الآخرين ، كل هؤلاء الذين تربيهم
في بلفنتو أو في الوديان ، يطأون الأرض بأحذية ثقيلة ،
ويضربونها لكي يكسبوا قوتهم (بمراة) وماذا غير الخبز
والماء ! والملح ، كما لو كان حلوى ! وما إن يرحلوا إلى مكان

آخر ، وإلى أستراليا بصفة خاصة ، حتى يحملوا ألقاباً شهيرة . . . ويصبحوا ظرفاء . . . متأنقين . . .

ماريا : (تحديق إلى زوجها بنظرة قاسية) .

؟ . . .

باربى : أوه ، لا أعنيك أنت يا ماريا . (ثم بصوت هادئ ،

يستطرد قائلاً وهو يدير رأسه) . . . وأثرياء ، لدرجة

مذهلة . . . وتدعو للكرب . (يغير لهجته) فسرى لى

هذا السر ، أنت يا من تحسّنين التفكير .

ماريا : . . .

باربى : ماذا يحدث هناك إذن ؟ ما الذى يزيد هناك ؟

ماريا : هنا ، يوجد الله والمسيح اللذان يمنعان ارتكاب الحماقات

ويعطيان كل فرد منا حاجته الضرورية .

باربى : الله إذن يسهر هنا وينام هناك ؟ أما الشيطان فيسك النقود

فى أستراليا . (يهز كتفيه) ليس هذا هو كل ما فى

الأمر ! (وهو يلتقى بنظرة على صورة السيد جالار) لو كان

يستطيع أن يتكلم !

ماريا : هذا هو الوقت المناسب حقاً يا باربى لتقصى الأسرار

والجرى وراء التفاهات والبحث فى طبيعة أستراليا بينا

زوجتك . . .

باربى : (وهو يقاطعها مباغتاً) قلت لك إني سأتكفل بأمر الخورى .
 هذا يكنى . دعيني أحلم ، يا ماريأ ، بما هو أخطر من
 ذلك ! وأبحث ، بكل عظمى ، فى تغير السيد جالار
 وتقدمه منذ أن ترك بلفنتو ، حافى القدمين ، نحيفاً كحبل
 الدوبار ، يجر ظله من خلفه . ساعدنى ، يا ماريأ ،
 أنت يا من لست غبية . (بصوت له مغزاه) يا من لست
 غبية على الإطلاق !

ماريا : تريد ماذا ؟

باربى : أن أعرف كيف يصعد الناس السلم . وبأى الوسائل
 ينطلقون . من فقراء وصعاليك يصبحون فجأة ، مقتدرين
 وميسورين ، وممثلين مثل القدر . . يسيل للذهب لعابهم
 كالكلاب المسعورة .

ماريا : بالعمل يا باربى .

باربى : من ذا الذى عمل أكثر منى ؟ وعرق أكثر منى ؟ . . .
 المسى يدى ، لا تزالان ملتببتين . العمل ؟ دعيني أضحك
 يا ماريأ .

ماريا : ربما كان الحظ .

باربى : أنت لا تعرفين ما تقولين . من ذا الذى أسعد حظاً منى !
 (ينظر إلى ماريأ) أيتها الزوجة التى لا تزال جميلة ،

وممتلئة . . . زوجتي . (يشير إلى بيتهما) وبيتنا الهادئ ،
 حيث أنام ملء جفوني ، وحيث أمد ذراعي وأريحهما .
 يا لها من ليلة معطرة بعطر صقلية . تمتليء سماؤها بألف
 لغز تنتظر حلا . (بصوت جدل) وأنا لا أملك غير
 برادة الصفيح ! (فترة صمت) من ذا الذي أسعد حظاً
 من باربي ؟

ماريا : الحياة تختلف من شخص لآخر . . .

باربي : (يقاطعها ساخرأ) . . . وكل منا ينال ما يستحقه . لا ،

لا ، يا ماريا ، ليس هذا هو كل ما في الأمر .

ماريا : ماذا إذن يا باربي ؟

باربي : (مخاطباً نفسه) يحك في رأسي جعران من الذهب . . .

ونحلة صغيرة . . . تشكني كالدبوس . (يدخل رأسه

بين كتفيه ويرفع يده إلى عنقه ، كما لو كان قد قرص

في هذا الموضع) . إني أفهم كل شيء . . . وأرى الليلة

كل شيء . لقد استنرت ! اقتربي يا ماريا ، سأكشف لك

عن مصدر الثروات . . . وضخامتها . . . وسحرها . . .

كآبتها . (مشدوهاً ، متصلباً ينظر أمامه ويقول بصوت

جهوري) إنها الريح !

ماريا : . . . ؟

: أجل الريح ! فكل شئء يبدأ بها . . . (يغير لهجته)
 يترك المرء بلفنتو وهو كقرود صغير (يلتقي بنظرة على
 صورة السيد جالار) أليس كذلك يا سيد جالار ؟ يحمل
 في جيبه ثلاث حبات من البطاطس ليقليها ، ولا يكاد
 يعرف العد ، يبحر على ظهر باخرة قديمة مطلية كما تطلي
 القدر ، وهو مليء بالشعر ، تفوح منه رائحة الثوم البحري .
 وما إن تضيع الأرض في أشربة البخار ، وتختفي أضواء الشاطئ
 الصغيرة الثابتة ، حتى تفيض الريح في الحال قبضه . . . وتطرد
 صوره الأليمة ومقالبه ومصائبه . وأفكاره . وإلا فما هو المال
 إذن ، إذا حاولنا أن نعرفه ، إن لم يكن في البداية (بازدياء)
 فكرة بسيطة ، تجول بخاطر الإنسان ذات صباح ؟ ثم
 تأخذ طريقها . أجل ، فكل شئء يبدأ بالريح ! . . .
 ليست الريح التي هنا ، تلك الريح الخجول ، المتدنية ،
 المهذبة ، التي تحمل الطائرات الورق وتطفئ شموع
 الكنيسة كإجراء اقتصادي . (وقد استنار ذهنه) إنما
 الريح الأخرى يا ماري ! . . . الريح الأخرى ، بجياها
 الخصب ، ونسورها وطيورها والسحرة الذين يصاحبونها ،
 أليس كذلك ، يا سيد جالار ؟ . . . (يتوقف ليسترد
 أنفاسه ثم يقول فجأة) ماري ، يا ماري ! . . . إن ريح

أستراليا تصفر ، هذه الليلة في رأسى . . . (بصوت منخفض) وتلهمنى بأن أقول . . . (فترة صمت) إن أحد أبنائى هو ابن السيد جالار . . . وبأن أقول إن ابنى هو ابن الريح !

ماريا : إلى أى شىء تريد أن تصل بذلك وحق السماء . تكلم بوضوح .

باربى : إلى أن أقول إن الحظ لا يتسم إلا مرة واحدة . . ولا يجب أن نبصق عليه . . . لو تفهمينى ، يا ماريا الطاهرة . . .
ماريا : ليس هذا ما كنت تقوله منذ قليل .

باربى : منذ قليل كنت أعلمك يا ماريا . وكنت أعلم نفسى أيضاً . كنت أعطى الله حقه ، كما كنت أعطيه للجنون . . وأحسب مقدار الأبيض والأسود فى قلب كل إنسان . . كنت أوسع دائرة البحث ، والآن أحصرها (بصوت طبيعى) لو كنت قد فهمتى ، يا ماريا الطيبة . . .
ماريا : (تراجع مأخوذة) .

باربى : (بصوت منخفض وهو يتقدم نحوها ببطء) قولى إن أحد أبنائى هو ابن السيد جالار . . . قولى ذلك حباً فى هذا الابن ، نفسه . . من أجلك أنت ، يا ماريا ، البريثة

الظاهرة ، ومن أجلى ، أنا الذى تضطرب ساقاه وهو يتحدث إليك .

ماريا : (تضرب رأسها بيديها) .

...

بارثي : (يشير إلى ساحة القرية التى اكتست بضوء فى لون

اللبن) انظرى إلى القمر . . . إنه دليل الفضة . . . خزانة

العالم ، هو القمر الذى له فم من الفضة . . . إنه يقبل

علينا هذه المرة يا ماريا ! وتختفين بين يديك ! حذار

أن تكونى بلهاء ، يا ماريا ، لدرجة أن تثيرى مسألة

الشرف الآن . . . وأنت تهزين ثوبك . من ناحيتى فى

أؤمن بأن الثروة التى تملأ البئر هى أعمق من كل الضمائر

الحية . وهكذا ! فإننا لا نحيا إلا مرة واحدة ، يا ماريا .

فى سننا ، نحيا نصف مرة . . . يجب أن ننهزها . الأب

أورورى نفسه أدرك ذلك على الفور ، ونظر إلى ، عند

دفن السيد جالار ، نظرة ذات مغزى . نعم كانت عينا

الخورى تلمعان كالماس . كانتا تتوهجان وتتوهجان ! . . .

بدلا من أن تنظفئ فى نور السماء . لقد كان ولا شك على

علم بأمر الخرج الأسطورى (مخاطباً نفسه وكأنه يفعل

ذلك على الرغم منه) ماذا سيعطيه المسيح بعصاه فى الوقت

الحالى (فترة صمت) لكن لن نخلط بين الأشياء .
 (تقع عيناه على الماندوليننا ، فيلتقطها) أشعر بخوف
 شديد من هذه الماندوليننا . (مخاطباً نفسه) هل يصبح
 سكارامالا منافساً لى ؟ (تدخل روزا ، يتبعها بيكالوجا .
 يجتازان أقصى المسرح فى طريق عودتهما إلى البيت)
 وبيكالوجا ؟ هو الآخر .

(يتوقف بيكالوجا عند سماع اسمه ، لينصت . أما روزا
 التى كانت تتقدمه ، فتخرج) .

هو الذى يستطيع أن يفسد كل شىء . (مخاطباً نفسه)
 أليس كذلك (فترة صمت) يجب أن نحدد موقفنا هذه
 الليلة ، يا ماريا ، بل هذه اللحظة . اتبعينى . فسندهب
 معاً لنطرق باب العمدة . . .

ماريا : (تكشف عن وجهها الذى كانت تخفيه خجلاً بين

واحتها) يا لك من زوج رهيب ! . . .

باربى : مهلاً ، مهلاً ، يا ماريا ، فمن الجائز أن يسمعك أحد .

ماريا : هل انتهيت من تحقيق زوجتك ؟

باربى : اسكتى !

ماريا : باربى ، أيها المخادع واللص فى الوقت نفسه .

باربى : اسكتى ! قلت لك إنه من الجائز أن يسمعنا أحد .

ماريا : يا لك من قواد ! . . . يتخفى وراء الريح .
 باربي : من الجائر أن أكون مغامراً أو ملاحاً ، يا ماريا ، لكن
 ليس ما تقولينه . فأنا رجل يحلم بما لم يستطع أن يكونه .
 (بدهاء لا يكاد يظن إليه أحد) يا لك من سمكري
 مسكين يا باربي ! (يجذب ماريا من ذراعها ويهزها)
 هل تظنين أني أشك في أمرك ؟ . . . وأطلب بناء على
 هذا تعويضاً (مخاطباً نفسه وهو يدير رأسه) ضخماً ،
 إذا جازت تسميته بذلك . هل تظنين أني اعتقدت ، للحظة
 واحدة ، بأن السيد جالار استطاع ، فيما مضى ، (يبحث
 عن كلماته) ماذا أقول . . . أن ينطرح فوقك ؟ أوه ،
 كلا ، يا ماريا ! إن الزئبق أقل طهارة منك ، وأن شعر
 بدنك لتفوح منه رائحة جلد الجدى . لماذا تبكين إذن
 (بحنان زائف) مثل هذه الرشاشة التي تمطر قطرات رقيقة
 والتي صنعتها من أجل البذور الحساسة . (فترة صمت)
 لماذا تنظرين إليّ بهذا الحنق ؟ (وقد استنار فجأة) كل
 هذا عبارة عن قصة من الريح ! . . .

ماريا : وهذه النقود التي ستحصل عليها ؟ . . . وهذا الابن الذي
 تريد أن تنسبه للسيد جالار ؟ ابنك الذي أراك مستعداً
 لبيعه ! . . . والعار الذي سيغطيني ؟ . . . (تنظر إلى

بيكالوجا : (لا يزال مخفياً خلف الأشجار ، يسمع كل شيء دون أن يراه أحد) .
الأمام ، وتقول بصوت ضعيف مؤسى (أين هي الريح ؟ ..)

باربي : افهمينى ، يا ماريا ، قبل أن ينفجر غضبى ، وأعدو حداداً مرعباً ، أنزع الأشجار وأدوس . . . براءتك الآتمة .

ماريا : (فى همس) فى سبيل تقود من الفضة .
باربي : (بصوت متوسل) القمر أيضاً من الفضة ، والماء الذى يطرب ، وورقة الحور . إن السحاب من الفضة . وضحكة الفتاة المليحة من الفضة . وشعر المسنين ، العقلاء ، من الفضة . كل شيء من الفضة ، يا ماريا ! كل شيء فضة ! وقلب الإنسان ، عندما يكون طيباً ، من الفضة . (فترة صمت) المؤلم فى الأمر كما ترين . هو هذا .

ماريا : (تخاطب نفسها ، بعد فترة صمت طويلة) .
سيثرون إلى بالأصبع .

باربي : ستسجد بلفقتو بأسرها عند قدميك .

ماريا : وأنت يا باربي ؟ هل فكرت فى نفسك ؟

باربي : لم يحدث أن لوئت الوصية أحداً . ولم يحدث أن جرد الميت

أحدًا من شرفه .

- ماريا : والله ، يا باربى ؟ الله الذى ينظر إليك .
- باربى : سأشرك الخورى . (بعد فترة . وهو يتوجه ناحية صورة السيد جالار) سيد جالار ، يا سيد جالار ، أنا الذى سبى الليلة مغامرتك ويصبح ثرياً باتباع آثارك . (وهو لا يزال ينظر إلى الصورة ودون أن يستدير) أليس كذلك ، يا ماريا ؟
- ماريا : . . .
- باربى : (يستدير) أليس كذلك ؟
- ماريا : (بعد فترة صمت ، تقول بهدوء) كلا . . . على الإطلاق !
- (يخرج بيكالوجا ، دون أن يراه أحد) .
- باربى : (ينظر إلى زوجته بقسوة) .
- ماريا : (بشفقة بالغة) هناك أمور لا يستطيع الإنسان أن يقدم عليها . تيقظ ، يا باربى . (تصيح) عد إلى رشدك !
- (ثم بهدوء) كل هذا عبارة عن قصة من قصص الريح ، عندك حق . خلاص . لقد مرت الريح . (فترة صمت) إن نقودك ، إنما هي من الصفيح . . . لا بد أن تسلم بذلك ،
- باربى : وإذا ألقيت بنفسى عند قدميك . . . (يلتقي بنفسه عند

قدمى ماريا) وضربت بقبضتى على صدرى كالطبل ...
 إذا قلت : « ماريا ، يا ماريا ، تعالى لنجدتى ! ... »
 بينما الليل يزداد غربة عنه الآن ، وأنا كمن يكون فى غابة
 خالية من البلابل ، مليئة بالذئاب ... هل تستجيبين ،
 يا ماريا ؟ ... وتكونين الزوجة المطيعة : المرنة كجذع
 الشجرة الأملس ؟

ماريا : (تتجهم ولا تجيب) .

...

باربى : لا تتأمل ، لا تفكرى ، يا ماريا ، بل احلمى ... فى
 الحلم ، كل شىء يبدو زائفاً وحقيقياً ، فى الوقت نفسه ...
 كل شىء يبدو أكثر بساطة . ارفعينى ولنذهب . جنباً
 إلى جنب ، لزيارة لويجى فى داره الشهيرة ... سوف
 أتكلم أنا .. وأنت تخفضين عينيك ، كما يحدث فى
 الأحلام ... ولن يعرف أحد بأننا أثرياء ... من
 لا شىء !

ماريا : ابق راکعاً ! ... لا تتحرك ! ... دعنى أنظر إليك
 وأنت تستجدينى ... يا نحاس الجحيم ، الضخم ،
 السمين ... لتحرق وتنصهر أكثر فأكثر ! (وقد فقدت
 كل سيطرة على نفسها ، تنادى) يا أهالى بلفتو ،

أسرعوا ! تعالوا لتروا زوجي . . . وستمعوا ما يطلب مني
أن أفعله . . . وهو يركع !

باربي : (ينهض ويتقدم نحوها مهدداً) .

. . . .

ماريا : (تواصل صياحها) اتركوا فراشكم ! . . . (تريد أن
تذهب لتطرق أبواب المنازل ، فيمنعها باربي . تصيح
بأعلى صوتها) اسرعوا ! . . .

باربي : (وهو يلهث ، زائغ البصر) اسكتي ! . . اسكتي ! . .
أيها البائسة !

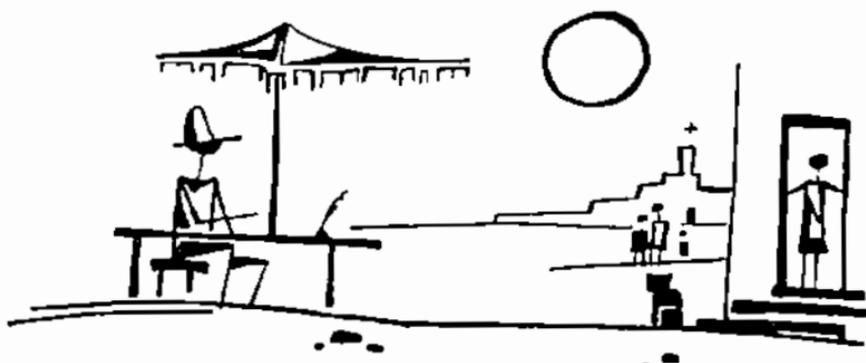
ماريا : (تصيح) اصحوا ! . . أسرعوا ! . . . (باربي الذي فقد
رشده ، لم يعد يعرف كيف يمنعها . تقع عيناه على السكين
المغروسة في صورة السيد جالار . ينتزعها ويطعن ماريا .
تسقط ماريا ثم تنهض . يتبعها باربي ويطعنها مرة ثانية
وثالثة . تنهار ماريا عند عتبة البيت . يتلفت باربي حوله
مذعوراً . تبدو الساحة وقد خيم عليها صمت مطبق) .

باربي : (ينحنى على جسد ماريا ، ويردد بلعثة) ماريا . . .
أيها النقية . . . ماريا ، أيها الغيبة . . حتى الموت .

يسدل الستار



اللوحه السادسة



نفس الديكور . فى وسط ساحة القرية ، يجلس
السكرتير ، الذى لا يزال يجهل مأساة الليل ،
إلى مائدة عليها ثلاثة سجلات . فى أحد أركان
هذه المائدة سمرت قطعة طويلة من الخشب
علقت فى أعلاها مظلة مفتوحة بميل لوقاية
السكرتير من أشعة الشمس . بالقرب من المائدة ،
يجلس قط على رجليه الخلفيتين وقد أسبل عينيه
الناعستين .

المشهد الأول

السكرتير وبينيفيكو

السكرتير : هأنذا أزاول مهام عملي الجديدة ، كالحفير ! الوقت
 نهار لحسن الحظ . لن أجد نفسي في مأمن ، هنا ،
 أثناء الليل وأنا أنظر قلقاً إلى هذه الفروع . . . (فجأة)
 طخ ! طلقة من امرأة غادرة ثم أسقط . وأدفن نفسي
 بنفسى في السجلات . (يربت على رأس القط ثم يقول) :
 توتينو ، إلى العمل ! (يتصفح سجلاً) سجل الوفيات ...
 سفر الرؤيا المقدسة ! سيتحتم على أن أنزل إلى المقابر ،
 وأنبش . . . في عظام الموتى ، باحثاً . . . باحثاً عن أثر
 للسيد جالار . . . من ناحية (يرفع أصبعه) الأسلاف .
 (يرفع السجل إلى أعلى) دون أن أقصد إهانة ذكرى
 أى شخص ، فإن عشرة آلاف من الموتى ، أخف من
 مؤخرة حى واحد ! (يضع الدفتر على المائدة) لنبدأ .
 (يقرأ) : براميلو ، ألدو ، بييرو ، ولد فى (يتمم بتاريخ)
 نونونو . . . توفى فى (يتمم بتاريخ آخر) نونونو . . . مهنته :

مزارع . (ينتقل إلى ميت آخر) جوندولى ، البرتوبيو
ولد فى . . . لا يهيم التاريخ ، وتوفى فى نونونو . . .
مزارع (فترة صمت) نينى رافايللو ، أرتورو ، ولد
فى . . . وتوفى فى . . . المهنة ، نجار . ها هو ذا واحد
من أهل البصيرة . (فترة صمت ثم يقرأ) أنا ستازيسيمو ،
ريمبلى فرانيسكو فرمينو ، كاسيو بريمو (يرفع أنفه عن
السجل ويقول أمام هذا المدير من الأسماء) لا أستطيع أن
أتابعها (ثم يقرأ) : ولد فى . . . توفى فى . . . ليحترق
التاريخ ! المهنة : ملاحظ (يتوقف مندهشاً ، يرفع عينيه
عن دفتر) هيه ! (بعد فترة ، يقرأ) : سبتيمو ، ماركو ،
باسكوالى المهنة : موسيقى . ولد فى (يقلد الجيتار) درن
درن درن ، توفى فى . . . درن درن درن (فترة صمت)
يحيا الجيتار ! (يقرأ) : رومانو ، ميلانو ، رودولفو
ولد فى . . . لا يهيم التاريخ ، توفى فى نونونو . . .
المهنة : ملاحظ . (مندهشاً) ملاحظ آخر ! (بعد فترة)
زيتو ، مارشاللو ، مارشالينو ، ولد فى . . . نونونو ، توفى
فى . . . التاريخ لا يهيم . . . ملاحظ . شخص ثالث !
(يتوقف عن القراءة . ثم بعد لحظة تأمل) . لا بد أنهم
تناقلة ! . . .

الصوت : تست !

السكرتير : (يتنفض من الخوف ثم يبحث بعينه) .

... ؟

الصوت : تست ... تست ...

السكرتير : (يبحث . لا يجد شيئاً ، فينظر ، على الرغم منه إلى القط) .

...

الصوت : تست ... تست ... هيه !

السكرتير : (ينهض) .

...

بينيفيكو : (يظهر . بصوت خفيض) أيها السكرتير ، هذا هو أنا .

السكرتير : (بجدة) ماذا جئت تفعل ؟ إن المنطقة محرمة .

بينيفيكو : أعرف . أعرف . لكن الصداقة أقوى .

السكرتير : ها ! ها ! ها ! ... كأنه من الممكن أن تحظى بصداقة

أحد . أنت الفضولي مثل حمالة البنطلون ، أو رأس

الزرافة . إنك تنتشر في كل مكان .

بينيفيكو : جئت أسأل عن أخبارك يا توتينو ، وأرى كيف تسير

الأمر الآن . لم تعد في خطر ، أليس كذلك ؟

السكرتير : (يهز كتفيه) .

-
- بينيفيكو : والبنادق ؟
- السكرتير : ؟
- بينيفيكو : ... التي كانت مصوبة نحوك ، في ذلك اليوم . كنت
مختبئاً وراء هذه الأشجار وقد رأيت كل شيء .
- السكرتير : هل تعتقد أنني خفت ؟
- بينيفيكو : لم أقل هذا . ولكنك تراجعت قليلا ، كان لسانك
يتلعثم ، كان يتلعثم في فمك . وكان حلقومك يتحرك
هكذا (يرسم بإصبعه في الهواء حركة الحلقوم وهو يطلع
وينزل) حتى أصبت أنا بالدوار .
- السكرتير : أنا ؟
- بينيفيكو : نعم ، أنت . (فترة صمت) أنت فتي طيب يا توتينو .
(ليمتلقه) بل يمكن القول بأنك كنت في حرب . هذا
صحيح : ثلاث بنادق ، تعد فرقة . . . لقد كنت بمفردك
في مواجهة فرقة بأكملها . (يحدث صوتاً بضمه ليبين أهمية
الأمر) بررت .
- السكرتير : طيب ، اذهب الآن (يبرز صفارة) وإلا صفرت .
- بينيفيكو : وإذا . . . صفرت ؟
- السكرتير : جاء الأب أوروري والعمدة على الفور . (يشير إلى شرفة

دار البلدية) إنهما هناك . . . ينتظران . أحدهما يصلى ،
والآخر يرتدى قميصه .

بينيفيكو : أيها السكرتير ، إنى ضيفك المفروض عليك . لقد سلكت
الطريق الوعرة حتى أصل إليك ، دون أن يرانى أحد .
دعنى أتففس قليلا قبل أن أعود . (فترة صمت) وماذا
ينتظران ؟ . . .

السكرتير : (لايجب ويشير إلى مكان) استرح ، إذا شئت . لكن
بجوار هذا القط .

بينيفيكو : (وهو يجلس على مقعد صغير) ليس مشيناً على الإطلاق
(يلتقى بنظرة خاطفة إلى القط) أن أكون بجوار . . قط
من قبرص .

السكرتير : (يستدير وهو يسمع هذه الكلمة الأخيرة) .
. . . ؟

بينيفيكو : إن الققط ، أيها السكرتير ، تسمى بأسماء بلادها .
(يتفحص القط من جديد) وهذا القط يبدو لى أنه من
قبرص على وجه التحديد (بعد أن ينظر إلى المظلة)
أحسنت بجلوسك تحت هذه المظلة البيضاء . إن اللون
الأبيض هو أكثر الأشياء نضارة . (مخاطباً نفسه ، بعد
فترة) أشعر بالقرب من هذه المظلة أنى أحيامن جديد .

السكرتير : ما دمت قد غافلتني وأطلت جلستك ، فأخبرني بما يفعله الآخرون . الجموع التي أبعدها عن هذه الساحة بكل حذر في تلك الليلة قبل الطل .

بينيفيكو : تعسكر أسفل التل .

السكرتير : ثم ماذا ؟

بينيفيكو : أوه ! البعض يلعب الورق ، والبعض الآخر يشرب الخمر ويغنى والجميع يشربون نخب السيد جالار تحية لذكراه وهناك من يشبعون نساءهم ضرباً لينشروا البهجة بين الجميع . وآخرون يتسلقون الأشجار ليشهدوا بريسان . (يضحك) ها ! ها ! ها ! . . . إنه حفل شعبي ، أو إذا أردت ، سفينة سيدنا نوح .

السكرتير : الجميع مسرورون ؟

بينيفيكو : نعم ، ولكن . . . على طريقة الحيوانات .

السكرتير : حسن ! لقد تم المهم : أخليت ساحة القرية من كل هؤلاء الناس .

بينيفيكو : حقاً ، لقد نفذ أمر العمدة بالحرف الواحد . (وهو ينظر بقسوة إلى القبط) . . . إلا بالنسبة لهذا القبط القبرصي .

السكرتير : ونيكولو العجوز ؟

بينيفيكو : عندما يكون باله رائقاً ، الشيء الذي لا يحدث إلا في

الصباح الباكر ، يعلن على الجميع ، أن سحابة من الذهب تخيم على بلفنتو وسوف تمطر بين لحظة وأخرى . وفي الظهيرة يحك أنفه في شجرة لأنه لا يعرف عندئذ ماذا يفعل . وفي المساء . . . يطالب بفرشته التي نسي أن يحضرها وينتهي الأمر بأن يتقاسم فرشة سيثيو . يجب ألا تستمر هذه الأمور .

السكرتير : (بعد فترة صمت) إن أخبارك لقصيرة ، أيها الحارس .
بينيفيكو : اسمع ، يا توتينو ، أنا ضيفك ! وليس هذا هو وقت التكم . (يجول بعينه في الساحة الحالية . ثم مخاطباً نفسه) لا أثر للجنس البشرى !

السكرتير : إذن ، لا أحد يناقش تحت ، ولا أحد لديه فكرة ؟
« يشربون ويفنون » (يضحك ساخراً) ها ! ها ! ها ! ...
لم يعد في بلفنتو إذن قلب واحد ! ولا شعور ! ولا أماطير دينية ! . . . فيما مضى عندما كانت تضيع قطعة صغيرة من النقود في هذه الساحة كان الجميع يروحون ويحيثون في ثورة عارمة ، واليوم ، على الرغم من أن هذه العين تكاد تتدفق ذهباً ، لا أحد يشغل باله بشيء .

بينيفيكو : حقاً ، حقاً ، بأشياء كثيرة ، تريد أن تقول .
السكرتير : إيه ؟ . . . تكلم !

بينيفيكو : إذا بدأت ، أيها السكرتير ، فلن أتوقف أبداً . ستصير
هرماً فوق هذا المقعد ، ولا أكون قد قلت كل شيء ...
وسيكون شبحاً ذلك الذى يستكمل لك الحديث . (ينظر
بقسوة إلى القبط ويضيف) : وهو جالس بجوار هذا
القط القبرصى .

السكرتير : دع هذا الحيوان وشأنه ، ولا تخلع عليه أسماء جغرافية .
تعال من هنا .

(يجعل بينيفيكو يغير المكان والمقعد) .

بينيفيكو : (بمجرد أن يجلس) إن الفراء ، فى الصيف ، مسألة
خائفة ، أيها السكرتير . أشعر بأنى بعثت من جديد بعيداً
عن هذا القبط .

السكرتير : (منهكاً) أيها الحارس ، إنك تتملق كالبرقوق المزز .
كنى ، اغرب عنى ! (يرفع قدمه كما لو كان سيركله) .

بينيفيكو : احفظ قدمك فى حذائك ! احترم سنى ، وإلا فاحترم
علمى . خمسون عاماً وأنا حارس ليلى فى نابولى ، هل تعرف
ماذا يعنى هذا ؟ . . . يعنى دورة كاملة على الأقل حول
الأرض بما فيها من ملاحظات ومسارات ومعلومات ،
ونخبرات ! . . . بخلاف الفوقانيات - والتحتانيات . لا ،
لكن من الجائز ! . . . سكرتير سمح ، يرفع قدمه على ؟

في حضور هذا القط القبرصي ، وسجلات القرية الرسمية المدوّن بها تاريخ تعميدى وتاريخ ميلادى . وتاريخ نزولى إلى القبر عما قريب ، ولكن بعد حياة طويلة عامرة . (فترة صمت) سأنصرف ، من أجل طريقتك الخاصة وأتركك في عزلة ، كما يترك الرجال . . . في أثيوبيا .
 (يظهر في شرفة دار البلدية ، الأب أورورى وهو يضع تحت إبطه الكتاب المقدس ، وكذلك السنيور روكو ، العمدة . يجد السكرتير الوقت بالضبط الذى يخفى فيه بينيفيكو تحت المائدة) .

العمدة : (من الشرفة) مع من تتحدث ، يا توتينو ؟

السكرتير : لا أحد تحت المائدة .

العمدة : لا أسألك عما إذا كان هناك أحد تحت المائدة ، وإنما

أسألك مع من تتحدث ، يا بنى . (يلقى بنظرة سريعة

على المائدة ، ثم يقول) : لا ألمح غير القط . فلندخل .

(الأب أورورى والعمدة يتركان الشرفة) .

السكرتير : (وهو ينظر إلى المائدة التى رفعها بينيفيكو برأسه دون أن

يدرى) وكأن المائدة تتنفس !

. . . .

بينيفيكو : (يخرج من تحت المائدة) المراقبة (يشير إلى شرفة دار

البلدية) هناك ، رائحة !

- السكرتير : لقد رأيت بنفسك .
- بينيفيكو : اخفض صوتك إذن ، إذا أردت التحدث .
- السكرتير : تقول ، إن القرية كلها لا تهتم بالحادث ؟ ثروة تنتظر في خزينة دار البلدية ، أحد أهالي بلفنتو ، ولا أحد يهتم بها ؟ (فترة صمت . مخاطباً نفسه) هكذا تتجلى روح المدنية في قطيع . يا لك من قرية ملعونة !
- بينيفيكو : سأذهب أبعد من ذلك ، أيها السكرتير . إن الغالبية تعارض ! وتسخر من نقود السيد جالار بل تهكم عليها . (فترة صمت) بسبب . . . (يقلد حركة الشخص الذي يبرم شارباً ضخماً) .
- السكرتير : (يوصل) . . . الشوارب ؟
- بينيفيكو : (يحدثه في أذنه) .
- السكرتير : (بصوت خفيض ، يكرر أولاً بأول ما يهمس به بينيفيكو في أذنه) . . . التي تتعارض . . . على ما يبدو . . . مع القرون ! (بصوت مرتفع ، دون مراعاة لأى شيء) .
- هوه ! هوه ! هوه ! . . . ماذا يعنى هذا ؟ . . . لكن هذا القط القبرصى له شاربان !

- بينيفيكو : (مؤيداً قوله) مثلاً ! (بعد فترة . بصوت جهورى) ثم
 إن القرون الذهبية ، ليست مثل القرون التى يتصورونها !
- السكرتير : نهايته ، ألم تؤثر فيهم قصة هذا الرجل القادم من بعيد
 ليرى ابنه ؟ بصرف النظر عن كل شيء . . .
- بينيفيكو : إنهم يؤكدون العكس ، ويعلمون أنه مهما كانت الظروف
 فإن السادة باربى وبيكالوجا وسكارامللا لا بد أنهم كانوا
 يراقبون زوجاتهم عندما كن نضرات .
- السكرتير : (مترفقاً) .
 . . .
- بينيفيكو : ليسوا ظرفاء ، أيها السكرتير . (فترة صمت) أما أنت
 يا توتينو ، فلست من صقلية ، إنك نموذج عصرى . رجل
 أوربى .
- السكرتير : حسن ! ستؤول أموال السيد جالار للملك . سيركب
 الملك قروناً ! من الذهب ، حتى تليق بمقامه . وفيما عدا
 ذلك ، ماذا يمثل التاج ، يا بينيفيكو ؟ سوى قرون . .
 مستديرة .
- بينيفيكو : فيما بيننا ، هذا هو ما كان يردده صاحب البيت الذى
 كنت أحرسه فى نابولى . . . إنه رجل اشتراكى ، وكان

بضيف قائلا : « إن جمهورية فيها قرون عادية للجميع ،
هي جمهورية مثالية » .

السكرتير : (محذراً) دعنا من السيامة ؟ أيها الجلد . فإن الوقت ليس
مناسباً .

بينفيكو : عندك حق . يجب ألا نحمل في السلة قواقع أكثر من
اللازم .

(يظهر الأب أورورى في الشرفة من جديد . يختنى
بينفيكو تحت المائدة) .

الأب أورورى : إلى من تتحدث يا توتينو ، إذن ؟

السكرتير : (بطريقة حاملة) كنت أتلو صلاة ، يا أبتاه .

الأب أورورى : عظيم . ولكن لا تندمج فيها . فالساعة ليست للفضيلة ،
كما تعلم ، يا بني .

(يترك الأب أورورى الشرفة . يخرج بينفيكو وهو يسير
على أربع من تحت المائدة) .

بينفيكو : سينهى بي الحال فأصبح من ذوات الأربع . بعد طول

جلوسى القرفصاء تحت هذه المائدة . لقد أدرك القبط ذلك

من فوره ، بعد أن نظر إلى مستغرباً الوضع . (بعد فترة)

ماذا كان يريد الخورى ؟

السكرتير : أن يعرف أيضاً هو الآخر ، مع من أتحدث . إنهما

يتصوران ، في علاهما ، هما الاثنان : الأب والعمدة
أريد أن أقول : الأب أورورى وسنيور لويجي ، يتصوران
أننى وأنا أفصح فى فى كل مرة لا بد أن أكون منهما فى
تدوين شهادة أجد هؤلاء السادة . . . المعتمدين بيته .
(فترة صمت) من الأفضل أن نقرأ ما فى برج النمر .
ما رأيك فى هذا ؟

بينفيكو : ليس من الأفضل .

السكرتير : إن عزل السادة باربى وبيكالوجا وسكارامالا عن باقى
سكان القرية ، لحملهم على التفكير والتأمل . . . ثم على
الاعتراف . . .

بينفيكو : (وهو يقاطعه) . . . أمر بالغ الخطورة . إننا لا نحفر
فى النفوس بلا ضرر . ولا نجس المشاعر كالبخار فى
القدر . كان يجب التصرف بطريقة أخرى . (يأتى
بحركات كحركات مهندس الديكور الذى يخطط
تصميماته) هذه الساحة كان لا بد أن تزين ، أولاً ،
بأعلام إيذالية وصقلية . . . وبالشرائط الملونة ! وتمتلى
بالناس الظرفاء ، المهذبين . وكان لا بد من سماع التهانى
والقبيلات والتحيات وهى تنطلق . (بابتسامة) سنيورا .
(بابتسامة أخرى) سنيور . (فجأة) وكان لا بد من

التحدث بالإنجليزية . أي نعم ! احتراماً وتبجيلاً للسيد جالار . وفي النهاية ، يقدم السيد جالار إلى باربي وبيكالوجا وسكاراملا كقريب له تركة ، كان فيما مضى (يبحث عن الكلمة) . . . رقيقاً مع نساءهم ، وهو اليوم رقيق جداً مع أبنائهم . بدلاً من هذا . . . (يسكت عن الكلام ويتراجع بضع خطوات إلى الخلف ، ذلك أن الأب أوروري قد ظهر في الشرفة وألقى بنظرة على الساحة ثم دخل مسرعاً . بعد فترة) هذا الخوري يذكرني بمفك المسامير البريمة ، عندما يمسك بك لا يتركك أبداً .

السكرتير : إن الأب أوروري رجل خير وهو ضمير القرية . إنه يقدم مساعداته للمسؤولين .

بينيفيكو : سينتهي بي الأمر إلى مواصلة الحديث وأنا تحت المائدة . (مخاطباً نفسه) لم نعد نعرف الوجه من القفا في هذه الغابة .

(فترة صمت) .

السكرتير : اسمع ، يا بينيفيكو . (يتردد لحظة ، ثم يقول بصوت منخفض) لست متأكداً من أن السيد جالار هو حقاً من بلفتتو . فلم أجد حتى الآن اسم جالار واحد في السجلات . يوجد فقط أسماء «جالاردينو» و«جالارديني»

واسم « جالارد ينيتينو » وكان بحاراً يجوب البحار . لكن اسم جالار . . . فلا ظل له ولا أثر .

بينيفيكو : أوه ! خذ بالك ! فأسماء الشهرة تقصف ، في الخارج ، كالأقلام . وأنا مثال لذلك . فاسمى بيبي بينيفيكوزاميريللى وفي نابولى كان أحد الأمريكين الذين كانوا يترددون على أحد أصحاب البيوت التى كنت أحرصها ينادينى « زامب » أو « بيب » . كان يأكل نصف اسمى فى كل مرة ، ذلك الأبله !

السكرتير : صحيح ؟

بينيفيكو : إن الأسماء فى الخارج تصغر وتنضائل كالفاكهة المعدة للتصدير . انظر إلى العنب الجاف . (مخاطباً نفسه) زامب أو بيب ، ذلك الأبله ! . . .

(يرى باب أحد المنازل التى تطل على الساحة وهو يفتح على حين فجأة ثم يظهر باربى ويتجمد فى مكانه) .

المشهد الثاني

نفس الأشخاص وباربي

- السكرتير : (وهو يلمح باربي . ينادي، بقلق) الأب أورورى . . .
 سنيور لويجي . . .
 (الأب أورورى والعمدة يظهران في الشرفة) .
- الأب أورورى : (مخاطباً العمدة) أسمع أحاديث . وألمح جمهوراً .
 فلتنزل . (يرسم علامة الصليب ويتأهب للتزل) بارك الله
 الجميع . . .
- بينيفيكو : ها هوذا الخورى الذى وصل فى أوتوبيس . (يقف
 بعيداً) .
- الأب أورورى : (وهو يمرق إلى الساحة يتبعه العمدة) . باربي ! (مخاطباً
 نفسه) حمداً لله ! إن العزائم الصادقة تتجلى فى النهاية .
- بارابى : (لا يزال متجمداً عند عتبة داره ، وبحركة من يده ،
 يدعو الشخصيات جميعاً للدخول عنده) .
 . . .
- الأب أورورى : (مخاطباً العمدة) يدعونا للدخول عنده .

- بينيفيكو : لا تذهب ، أيها الخورى الطيب . إنه يمسك بسكين
فى يده وشفتاه ترتعدان .
- العمدة : (فجأة وفى الحال) أين ماريا ؟ . . . (يتقدم نحو
باربى) .
- باربى : (كشخص يسير أثناء النوم ، يتوجه ببطء شديد نحو
منتصف الساحة ، يتوقف ويترك السكين التى كانت
فى يده تسقط فوق المائدة) .
- العمدة : أين ماريا ؟ . . . (يهزه) .
- باربى : (يفيق) ماتت . . ماتت ! طعننها . . . بسكين السيد
جالار . . . الليلة . لقد لحقت فى الجحيم بالرجل الذى
خانتنى معه . . . فى أمسية صيف حزينة . . . والبلابل
تضع بيضها . . . إنها هى ! هى التى أخبرتنى ! (يشير)
هنا . . . فوق طحلب هذه الغابة . . . ثم فى بيتى . (بعد
فترة صمت) تعالوا . . . تعالوا ! . . . إنها مخضبة بدمائها
فى الفراش . (مخاطباً نفسه) وقد وضعتُ ، بالرغم منى ،
وردة بيضاء ، وردة نقاء ، فى شعر . . هذه العاهر .
- الأب أورورى : باسم الآب . (لا يرسم العلامة . ويقول بصوت جهورى)
لم يعد هناك ابن ! . . . ولا روح قدس ! . . . (بتأثر)
أيها الأرض المدنسة ! . . . يا لك من أرض مدنسة ! . . .

(هامساً) أين أنت ، يا وجه المسيح ، الرقيق ؟
 (جميع الشخصيات ، فيما عدا باربي ، تقع فريسة
 لأشد حالات الانفعال ، يروحون ويحيثون ، في كل
 اتجاه . بينيفيكو وهو يمر بالقرب من القط ، ينهب
 الفرصة ليركله ركلة قوية بقدمه التي تأتي بالحيوان في الهواء
 حتى يصل إلى الكواليس .

يسدل الستار

اللوحة السابعة



نفس الديكور . تدخل الصغيرة آنا . تتلفت
حولها كأنما تخشى أن يكون قد تبعها أحد .

آنا : تركت بيتي

وكانت جدتي نائمة

كانت تنفخ بضمها خفيفاً

كأنما توقظ ناراً مشتعلة

وهنا دفعت الباب

...

أخذت طريق الغابة

وكان القمر عصفوراً طليقاً
 والآبار تنزف من فوهاتٍها نزيهاً
 فتملكنى الخوف
 وأصبحت فى نهاية المطاف
 أكثر من فتاة صغيرة
 نجرى معاً وفى نفس الوقت . . .

(آنا تتجه إلى أقصى المسرح . ترى على امتداد ساحة
 القرية دائماً ، مقبرة بلفتو . تقف آنا أمام أحد
 الصلبان) .

هأنا ذى بقربك الآن
 يا سيدى
 ولا أخشى شيئاً .
 فماذا يكون القبر
 إن لم يكن بستاناً صغيراً
 وحكاوى وحكايات !

. . .

يقولون إن ملكين يجيئان هنا أثناء الصيف
 يقفان أحدهما فى مواجهة الآخر

وكأنهما شخص واحد ينظر في مرآة كبيرة . . .
 أما أنا فلا أرى الليلة ملائكة الصيف
 لأن كل ما هو قريب منا
 ربما كان بعيداً عنا .

. . .

ما إن جئت إلى بلفتو
 على حصان اختفى مثل الدخان
 حتى اختلط الخبز الأسود بالخبز الأبيض
 واختلطت الدموع بالآلام . . .
 لأنك شديد الثراء
 ولأنك بالغ المحبة

. . .

إني راحلة وتاركة على قبرك
 شالي الصغير
 فالوقت صيف ولا حاجة إليه
 لكنه صيف بالنسبة إليك
 أنت يا من تنام عميقاً ؟ . . .
 عميقاً أحبك يا سيدى .

(تغادر المقبرة التي يحنى أثرها في الحال . وما إن تصل
آنا إلى ساحة القرية ، حتى تنظر إلى الصورة لحظة ثم
تخرج مهرواة) .

يسدل الستار

اللوحة الثامنة



نفس الديكور . بعض الفلاحين مجتمعون
في ساحة القرية ، أمام بيت باربي . بينهم
سكاراملا وبيكالوجا . وبينما يخاطب سكاراملا
العامة ، ينتحي بيكالوجا جانباً وهو يفكر .
عند رفع الستار ، يطابق صمت رهيب على
الشخصيات .

المشهد الأول

فلاحون ، سيتشيو ، بيكالوجا ، سكاراملا
السكرتير ، بينيفيكو ، الأب أوروري

فلاح عجوز : إن الحياة دائرة . . .

فلاح ثان : (مستفسراً)

؟ . . .

الفلاح العجوز : (يرسم بإصبعه) دائرة .

الفلاح الثانى : (مستغرباً وبجدة) ماذا تعنى ؟

الفلاح العجوز : يدور الناس حولها . . . ويبقون دائماً فى نفس المكان .

الفلاح الثانى : (ببلاهة) ماذا تعنى ؟

الفلاح العجوز : الذين فى المقدمة يصبحون فى المؤخرة . . . وهؤلاء الذين

كانوا فى المؤخرة يصبحون فى المقدمة . . .

الفلاح الثانى : (وهو يقاطعه) ماذا تعنى ؟

الفلاح العجوز : لا أعنى شيئاً . ثم إن هذا هو ما كنت أسمعه دائماً .

فلاح ثالث : (مخاطباً الفلاح الثانى) وبعد ؟ . . . ألا توجد وسيلة

للتحدث بطريقة مفهومة ؟ . . . (يقلد الفلاح الثانى)

ماذا تعنى ؟ (ثم يفسر) السيد باربى الذى كان فى

المقدمة ، هو الآن في المؤخرة . ولكنه سيصبح قريباً في المقدمة ! (مخاطباً الحاضرين) لا يوجد في باليرم قاض يرتدى جلد أرنب ، ليدين باربي .

فلاح عجوزجداً: أنا لا أحب الدماء ، هيه ؟ . . . إلا دماء الطماطم . الشرف ، هو الطماطم ، هذا أصح ! في سني ، يصبح من حتى أن أتصور ما أتصوره ، هيه ؟
الفلاح الثالث : من حقلك مؤكداً ! فالشرف عصارة . ألم يعد معك ماء ، يا نيكولا ! . . . صفت تماماً . . . أصبحت تينة جافة !

الفلاح العجوزجداً: ماذا يفعلون إذن بشعري الأبيض ، في هذه الغابة ، هيه ؟ (يتوجه ناحية مجموعة أخرى) .

فلاح رابع : لئر الرسول . . . (ينادى) هيه ! سيتشيو .
سيتشيو : (الذي كان منضمّاً إلى مجموعة أخرى ، يتقدم) . إني قادم . لكنكم تتكلمون هنا كثيراً . لتتحلوا بشيء من الرزانة . فلم تدفن ماريا بعد .

الفلاح الرابع : هل كنت في قسم شرطة كاستلنوتسي ، هذا الصباح ؟
سيتشيو : أجل . كنت في المركز ، مرسل من قبل العمدة ، لأخطار الرقيب فيتشي .

الفلاح العجوز : ماذا قال الرقيب ؟

سيتشيو : ليس عندنا جنود لإحضار السنيور باربي ! . . . فليحضر إلينا ، وحده ، مثل شيخ الحارة .

الفلاح الثاني : (فجأة) ماذا تعني ؟ . . .

الفلاح الثالث : (مخاطباً الفلاح الثاني) لو أن ميزان الله كان على الأرض ، لما احتاج الأمر إلى قاض يدين السيد باربي .

الفلاح العجوز : في باليرم ، يوجد ميزان الله !

سيتشيو : (يتحدث بلهجة ودية وقد نسي المهم) إن الرقيب الذي

كان يقوم بزينة الصباح ، وهو سيّء الهندام ، قد خيب

ظني . (بإعجاب) لكنه ما إن ارتدي ثيابه ، حتى

أصبح شيئاً آخر .

الفلاح الثاني : (مندفعاً) ماذا تعني ؟ . . .

سيتشيو : (يسكته بيده) هيبه . (يسترسل) وبعد ذلك ، قمت

بتسليم رسالة من الأب أوروري إلى سيادة السنيور

أمبروزينو ، بمقر الأسقفية . (يتوقف) وكان يتناول

وجبة خفيفة .

الفلاح العجوز : في الصباح ؟

سيتشيو : نعم . (بإزاء تشكك الحاضرين ، يشرح) : كانت

توجد بعض الشموع على المائدة . فقرأ سيادة السنيور

رسالة خوري قرينا ، توقف ، وقال وهو ينظر إلى السماء

من نافذته : « الأب أورورى ليس على مستوى المشاكل
المالية ! »

الفلاح الرابع : ثم ؟

سيتشيو : انكب على طعامه .

كثير من الفلاحين : (فى وقت واحد وبجزم) ماذا تعنى ؟ . . .

(باب منزل باربى ينفرج) .

السكرتير : (وهو يمد رأسه) سكوت ، من فضلكم . فى الداخل تتلى
صلاة الموتى .

(من يرتدى من الفلاحين قبعة يخلعها)

بيكالوجا : (يركع على الأرض بركبة واحدة) .

. . .

الفلاح العجوز جده : (لم يسمع ولم يفهم شيئاً) ما هذا ؟ . . . (يتلفت حوله)

لم أعد أسمع شيئاً ، وهذا يشبط عزيمتى .

الفلاح العجوز : (بعد فترة صمت ، يحرك شفتيه وهو منكس الرأس .

يتمم بصلاة يسمع منها فقط عبارة) : . . . أبانا الذى

فى السموات . . .

الفلاح الرابع : (بعد فترة صمت ، يحرك شفتيه وهو منكس الرأس .

يسمع فقط هذه الكلمات) : . . . باركنا . . . باركنا . . .

يا يسوع . . .

سيتشيو : (منكس الرأس) ... خبز يومنا المعتاد ...

فلاح خامس : (منكس الرأس) ... ماريا ... ماري ... بوركت .

الفلاح الرابع : (منكس الرأس) ... وأبواب الجحيم ...

الفلاح الثاني : (يتوقف عن الصلاة ، ينظر ناحية الفلاح الرابع ويسأله

وهو منكس الرأس) : ... ماذا تعنى ؟ ...

سيتشيو : (منكس الرأس) ... ملائكة السماء ... ملائكة

السماء ... جنات النعيم ... سنابل ...

الفلاح الخامس : ... ليحل ملكوتك ...

الفلاح الرابع : ... صليب الخشب ... وصليب الحجر ...

(يفتح باب منزل باربي على سعته . يظهر بينيفيكو ممسكاً

بمبخره في يده ، يتبعه الأب أوروري . بينيفيكو وقد

عبر وجهه عن التأثر يضع ، تمشياً مع الموقف ، شريطاً

من الحرير الأسود حول ذراعه اليسرى . يقطع الفلاحون

صلواتهم . وينتصب بيكالوجا واقفاً) .

الأب أوروري : (في حيرة) أصدقاء الأعمى ... (فترة صمت) .

حتى لا أقول : أبناء التعساء ... أبناء التعساء (فترة

صمت) حتى لا أقول : كم أنا بائس !

(يخرج بخطى مسرعة ، يتبعه بينيفيكو) .

الفلاح الثالث : (يصيح بقصد أن يسمعه الأب أوروري الذي خرج

لتوه) . أما أنا ، فإني أعلن أمام الخورى وفي وجهه : أن
 بلقنتو بعد ألف عام ستظل هي قرية الشرف بفضل
 باربى !

الفلاح العجوز : وأما الآن ، فحفل جنائزى ، ونجوم نجابية . . . وتابوت
 محلى بالقصب .

الفلاح الثالث : وبعد . . . وبعد . . . (وهو يشير بفطنة إلى كل من
 سكارامللا وبيكالوجا) . اثنان من المواطنين يتنفسان
 الصعداء . . . مع هذه الملاحظة الأخيرة .

الفلاح الثانى : ماذا تعنى ؟ . . .

الفلاح العجوز : سأسهر الليلة على ماريبا ، وسأخذها من يدها لأقودها إلى
 الله بسلم قديم جداً . (وهو ينظر فى عينى الفلاح الثانى)
 ماذا تعنى !

سيتشيو : أرى فى كل مكان ماريبا ، المختصرة ، تتحلى يجناحين ! . . .
 الفلاح العجوز : ورأيت كذلك الرقيب فيشى فى سروال الصباح ! (مخاطباً
 الآخرين) يجب ألا نصدق تصوره . (فترة صمت)
 ومع ذلك . . .

الفلاح الثانى : (يندفع متسائلاً) .

؟ . . .

الفلاح العجوز : ومع ذلك (يشير إلى منزل باربى) فهذه الميتة ، هناك . . .

والسيد بارني (يرفع إصبعه بالتدريج) المحترم ، المحترم ،
 جداً . . . الذي سيلقون به في السجن . . . وهذه الثروة
 في حقبة . . . والسيد جالار الذي لم يره أحد إلا في
 الصورة . . . (يرتبك) اعترفوا . . . مع ذلك . . .
 (يلخص قوله ، فجأة) فإن كل هذا وكل ذلك ، ما هو
 إلا قصة اختراعها الشيطان ! والخوري ، فضلاً عن
 ذلك ، يصطاد الكل .

الفلاح الرابع : أهو يؤس ذلك الذي يحل بنا ، أيها الناس الطيبون ؟
 فلاح سادس : وهل صحيح أيضاً (يشير ، من بعيد ، إلى الصورة) .
 أنه كان يملك فيضاً من المال ؟

بينيفيكو : (يدخل مسرعاً والمبخرة في يده ، يستطرد) : لقد أصيب
 الأب أوروري ، منذ قليل . . . بصدمة عصبية ،
 بسبب هذه النقود . . . فبعد أن وضعها كاملة في كيس
 كبير ، ختمه ليعت به إلى المسئولين ، إنهار فوقه كالطفل
 الصغير . إنه لشئء مؤلم ، وحق المسيح ! (مغبراً لهجته)
 هل من أحد يأتي لمعاونتي في تهديته ؟ إن هذه المبخرة ،
 كما ترون جيداً ، تحول دون العناق و«الطبطة» . ليس
 لي إلا يد واحدة . (يحرك المبخرة بهزات خفيفة) وعلى
 أن أبحر .

سكاراملا : من الذى ألحق بخدمة الحورى . . . بالحق المفاتيح هذا ؟
 بينيفيكو : حسن تصرفى ! . . . خمسون عاماً فى نابولى ، حارساً لياًياً ،

يا سيدى ، الشىء الذى يفيد أكثر من كل المعاهد
 العلمية فى حسن التصرف . (يتخذ من الحاضرين شهوداً)
 لا ، لا ، بل أحياناً ! (فترة صمت) سيتشيو ، هل
 تعاوننى فى إعادة الأب أورورى إلى حالته الطبيعية ؟

سيتشيو : لا أحب الذين يحبون المال . إنى أفضل العسكرين .
 فلقد تلقى الرقيب فيشى هذه الأنباء بتأثر بالغ حتى إنه
 هب واقفاً عندما سمع بأمر النقود .

الفلاح المعجوز : (مخاطباً بينيفيكو) إنى أتبعك (مخاطباً الحاضرين) إنى
 ذاهب لأرج الحورى كالحقنة . وإذا احتاج الأمر ،
 فسأضيف إلى ذلك صفة أو صفتين . . . (يمثل
 الصفعات) لإعادة تنظيم دورته الدموية . . . بعد إذنكم .
 (مستعملاً تعبير بينيفيكو) . لا ، لا ، بل أحياناً !
 (يخرج . يتبعه بينيفيكو) .

المشهد الثاني

نفس الأشخاص والعمدة

(السكرتير والعمدة يخرجان من منزل باربي) .

السكرتير : (على عتبة الباب ، يقول مخاطباً العمدة) ها هوذا المحضر .
كل شيء مدون فيه : الوقائع والأقوال . لا يبقى لك
إلا التوقيع .

العمدة : على ألا يمس شيء في البيت ، انتظراً للتحقيق . (فترة
صمت) اللهم إلا بعض الورود على جثة المتوفاة ، فقط
لا غير .

السكرتير : حاضر .

العمدة : (يشير إلى صورة السيد جالار) ولتترك هذه الصورة في
مكانها ، شاهداً على المأساة .. (بحركة مبهمة) إذا كان
لا بد .

السكرتير : حاضر .

العمدة : ثم قل لباربي أن يسرع ، ويذهب ليسلم نفسه بنفسه إلى
مركز كاستلنوتى ، قبل أن يصل رجال الشرطة . هذا من
الأفضل له .

- السكرتير : حاضر ، حاضر ، فهمت .
- العمدة : (بضيق) طيب . سأذهب لأستريح .
- السكرتير : (يدخل في منزل باربي الذي لا يزال بابه مفتوحاً) .
- العمدة : (وهو يمر أمام الفلاحين ، يكاد يتوقف) . هكذا ينتهى كل شيء . . . وهكذا دائماً ، فى هذا البلد الهالك .
- تتطور الأمور بسرعة ، وبسرعة تتعقد (فترة صمت ، مخاطباً نفسه) إلى الوداع إلى الوداع ، يا بلفتو الحلوة ... بلفتو المرحه ! راح ، راح كل هذا . لن يأتى مصورو باليرم إلى هنا ، بعد الآن . . . وربما لن تأتى العصافير كذلك .
- الفلاح الثالث : (يقاطعه بحدة) إن بلفتو بعد ألف عام ستظل هى قرية الشرف بفضل باربي !
- العمدة : طيب ، لنقل له هذا فى الحال ، عند لحظة الوداع . (بطريقة جافة) . وليس لى أنا . (يخرج) .

المشهد الثالث

نفس الأشخاص بالإضافة إلى باري

(باري يخرج من بيته ويتجمد لحظة عند عتبه . يضع
قبعة المستديرة على رأسه ويمسك بيده حقيبة صغيرة ،
يبدو بصره زائغاً وقد شعبت ملامحه تماماً) .

الفلاح الثالث : (يرتقى على باري ويضمه بين ذراعيه ، لا يستجيب
باري لاندفاعه ويتقدم كالسائر أثناء النوم) .

...

الفلاح العجوز : (وهو يتجه نحو باري يلمس ملابسه) قديس ! . . .
قديس . . . ملاك . . . ملاك ! باري الملاك .

الفلاح الثالث : شريف . . . شريف جداً . . . برغم السواد والدماء .
الفلاح العجوز : هات هذه الحقيبة (إلى الآخرين) سنصحبه جميعاً إلى
كاستلنوتى .

الفلاح العجوز جداً : من الأفضل أن يتقدم بمفرده إلى مركز الشرطة . هذا
أفضل . . . تسليم بمحض الاختيار ودليل على حسن النية .

الفلاح الثالث : ما من قاض سيمس شعرة من رأسك ! ألف عار إذا
كانت العدالة توافق على المعاشرة غير الشريفة ! . . .

الفلاح الثاني : (مؤيداً) وأطفال ليسوا أبناءك . . . في الواقع .. (مخاطباً نفسه) ماذا تعنى !

باربى : (يتقدم وهو يلهث) هواء !
 الفلاح العجوز : هواء ! (يبحث ، ثم) : هاتوا له هواء . (يجلسون باربى ، يخلع عنه الفلاح الثالث قبعته ويهوى له بها) .
 الفلاح الثالث : تنفس ، تنفس يا باربى الشجاع (فجأة وبعضمة) كولونيل باربى بالشجاعة !

الفلاح الرابع : (يخرج من جيبه ورقة مالية) خذ هذه الليرات . . . ربما احتجت إليها فى السجن .

باربى : (مخاطباً نفسه كتمثال آلى) . ليحترق المال .
 الفلاح الثالث : (مصعوقاً لتصرف الفلاح الرابع) يا للعجب !
 الفلاح الرابع : صحيح . معذرة . معذرة . يا باربى الملاك .
 (بيكالوجا . على حدة ، لا يحول عينيه عن باربى) .

الفلاح العجوز : اذهب ، اذهب ، يا صديق باربى ! (ينظر ناحية منزل باربى) لقد بردت الميتة . ويجب أن تذهب . فجنود الشرطة فى طريقهم إلينا الآن . قادمون لملاقاتك ، فاتخذ طريق الغاية . وستبلغ كاستلنوفى فى منتصف الليل .

الفلاح الرابع : أجل ، سرحل من بلفنتو ، رجلاً صالحاً .
 الفلاح العجوز : معذباً تأمهاً من أجل الشرف ! ولسوف تعد خطواتك على

الطريق نجوم السماء جميعاً . (بعد فترة) حان الوقت
لنقول لك وداعاً .

(يصطف الفلاحون صفّاً واحداً ويتقدمون ، كل بدوره ،
ليشدوا على يد باربي الذي يجلس ، وقبعته فوق رأسه .
وحقيبته عند قدميه) .

الفلاح الثالث : (يشد في صمت على يد باربي) .

. . . . (يخرج) .

الفلاح الرابع : (يشد على يد باربي) .

. . . . (يخرج) .

الفلاح العجوز : (يشد على يد باربي)

. . . .

باربي : (بينما يشد الفلاح العجوز على يده يحدث نفسه كتمثال
آلى) ليحترق المال .

الفلاح الثاني : (يشد على يد باربي) .

. . . . (يخرج) .

الفلاح العجوز جداً : (يشد على يد باربي) .

. . . . (يخرج) .

سيتشيو : (يشد على يد باربي) .

. . . . (سيتشيو يخرج) .

باربى : (يكرر لنفسه كلازمة موسيقية) ليحترق المال .

(باربى ، وسكارامللا وبيكالوجا ، الذى راقب المشهد

الأخير من بعيد ، وحدهم على المسرح) .

سكارامللا : ها نحن أولاء مجتمعون من جديد . . . مثل ثلاث من

كرات البلياردو ، واحدة منها حمراء ، كما تعلمان . (فترة

صمت) من ذا الذى دفعنا إذن . . . وأصابنا . . .

وشتتنا ، ثم جمعنا مرة أخرى ؟ . . . (بعد فترة) آه ،

مصير الإنسان واحد لا يتغير ، ما دام لا يوجد أمامه غير

الميلاد والموت . وبين الميلاد والموت ، يحسب كل شىء ! . .

بينما لا ينبغي أن يحسب شىء (مغيراً لمجته ، يخاطب

باربى مباشرة) سوف يتحدث الناس عنك فى الأمسيات

وكأنهم يتحدثون عن رجل دافع عن مائه ونخبزه . لأنه ماذا

تكون المرأة إن لم تكن ما نأكله ونشربه فى المنزل ،

وما يريحنا . أنت على حق فيما فعلت ، أيها الفلاح

الأصيل ! يا شوارب صقلية جميعاً ! ... أيها السمكرى .

باربى : (مذهولاً ، يتمتم) ليحترق المال .

سكارامللا : (يضع يده فوق كتف باربى) والآن ، يجب أن تذهب ،

لقد أزف الوقت . وداعاً ! . . . هناك رجال يرتدون

السواد (باحترار) ويكتبون رسائل، ينتظرونك ليلطخوا سمعتك باسم القانون .

باربي : (ينهض ، ويتقدم كتمثال آلى لا يدري إلى أين) .

...

سكارامللا : (يمسكه من ذراعه ويحدد له طريقاً) إنه من هنا ، طريق الغابة . (بينما باربي يتعد) أيها الملاك ، أيها الملاك ! . . .
أيها الملاك باربي .

(يهبط الليل شيئاً فشيئاً . سكارامللا وبيكالوجا ، وهما واقفان ، يبدوان كأنهما شبحان . تمر فلاحتان وعلى رأس كل منهما وشاح . ويدها شمعة مضيئة . تدخلان منزل باربي . سكارامللا وبيكالوجا يراقبانها في صمت) .

سكارامللا : (بعد صمت طويل) يجب ولا شك أن نؤدى للموتى التكريم الذى يستحقونه ، ولكن يجب أيضاً أن نعرف بما علينا نحو الأحياء (ينظر في عيني بيكالوجا) قل ، لماذا لم تشد على يد باربي ؟

بيكالوجا : (لا يجيب) .

...

سكارامللا : لماذا لم تواسه وتشد على يده بيدك الشريفة ؟ . . . مثلنا جميعاً .

- بيكالوجا : . . .
- سكارامللا : هل تستطيع أن تلومه على ما كان من الممكن أن تفعله أنت ، أو أفعله أنا ، لو أن الشرف . . . والشيطان أراد ذلك ؟ . . . (بعد صمت ، بلهجة عتاب) بيكالوجا أيها العادل !
- (سكارامللا يخرج بخطى بطيئة ويأبى . بيكالوجا يجلس فوق جذع شجرة ، تمرق بعض الفلاحات إلى بيت باربي للمشاركة في ليلة العزاء . وقد أمسكن بشموع في أيديهن ، الوقت الآن ليل حالك) .
- فلاحة عجوز : (تخرج من بيت باربي ، وهي تتحجب بصوت ضعيف) . . .
- فلاحة : (تدخل بيت باربي . وهي تتمم بالصلاة) بارك . . . بارك . . . يا يسوع . . .
- (من منزل باربي الذي لا يزال بابه مفتوحاً ، تتصاعد ترديدات صلوات ، مصحوبة بنحيب ضعيف) .
- صوت : (وهو عبارة عن تفكير بيكالوجا ، يهمس كأنه صدى) بيكالوجا العادل . . . بيكالوجا العادل . . . العادل . . . العادل . . .
- بيكالوجا : (يضع يده على جبهته) .

. . . .

(تسمع الصلوات الصادرة من منزل باربي) .

صوت آخر : (وهو عبارة عن تفكير بيكالوجا ، يهمس كأنه صدى)

إن بلفنتو . . . بعد ألف عام . . . ستظل هي قرية

الشرف . . . الشرف . . . الشرف بفضل باربي .

(تسمع صلوات جماعية وهي تتلى داخل منزل باربي)

الصوت : بيكالوجا العادل . . . بيكالوجا العادل . . .

(بيكالوجا ينهض على حين فجأة ، كأنه قد اتخذ قراراً

لتوه ، يخرج ويعود في الحال حاملاً بندقيته) .

الصوت : العادل . . . العادل . . .

بيكالوجا : (مخاطباً نفسه) طريق الغابة . . . سألحق بباربي . . .

(فترة صمت) وبعد ساعة ، ستصبح بلفنتو هي قرية

الشرف ! (يحشو بندقيته بالرصاص ثم يردد) : بيكالوجا

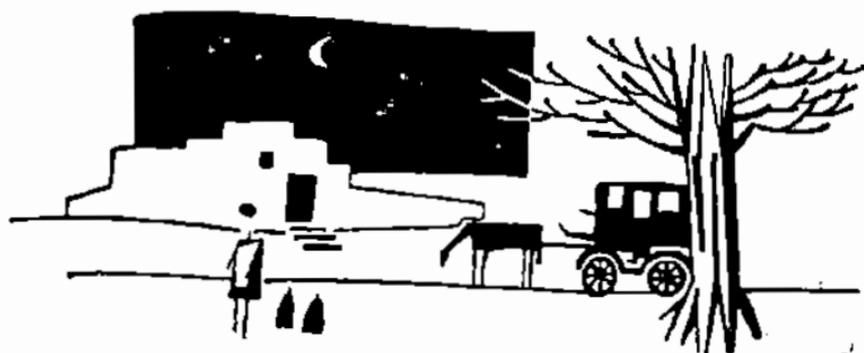
العادل ! . . . (ينظر برهة إلى نافذة منزل باربي الضعيفة

الإضاءة ، ويتم قبل أن يخرج) ماريا . . . يا ماريا . . .

(بخطوات ثابتة ، يتوغل بين الأشجار) .

يسدل الستار

اللوحة التاسعة



نفس الديكور ، ربح عاتية تهب على ساحة
القرية . عند رفع الستار يكون المسرح مظلماً .
يسمع من بعيد صوت عربة تسير . بعد لحظة ،
تظهر عربة من ذات الأربع عجلات
بمصاييحها المتواترة . تتوقف تحت شجرة في
أقصى المسرح . وعندئذ يضاء المسرح . لم
تعد صورة السيد جالار على الشجرة .

المشهد الأول

الحوذى ومهاجر جديد

الحوذى : (وهو يستدير فوق مقعده) لقد وصلنا يا سيدى . يمكنك أن تنزل وتشاهد المكان ، ولكنى أنصحك بأن تمسك قبعتك جيداً ، فالرياح تهب عاتية ، بطريقة يندر حلوثها فى المنطقة التى تتجمع فيها النجوم ، ليلاً ، مكونة مجموعة من الأبراج السماوية . وايس هذا كلام فى الهواء (يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ . . . (المهاجر ينزل من العربة ، إنه رجل قوى المنكبين ، ذو لحية مربعة . يبدو مبتهجاً وحازماً) .

المهاجر الجديد : تركت قبعتى ، فى العربة (يتقدم بضع خطوات ، ثم يقول بلهجة أمره) : أطفى هذه المصابيح ، أريد جواً حزيناً .

الحوذى : (يفتح نوافذ العربة ، فتطفي الرياح الشموع) مع الظلام ، والرياح . . . وشعرك الذى لعب به الريح ، سوف تجد الجوا المطلوب (بعد فترة) إننى فى انتظارك يا سيدى . (يتقدم المهاجر بضع خطوات ويبدأ فى التطلع

حوله . في هذه اللحظة تنيح بعض الكلاب . يعود المهاجر مسرعاً إلى العربية التي كان بابها لا يزال مفتوحاً)

الحوذى : لا تخش شيئاً . إن الكلاب في صقلية تغنى . (بعد

فترة ، وقد رأى أن المهاجر لم يخرج) ثم إنها كلاب قرينتك ، يا سيدي . انزل إذن ! أوكد لك أنها تغنى .

المهاجر الجديد : (ينزل من العربية ، يتقدم بضع خطوات ويدندن ،

خلال فترة قصيرة ، بلحن حزين من ألحان الأوبرا الشهيرة ، وصوت جميل ورخيم للغاية) .

. . .

الحوذى : (متأثراً) آه ما أجمل هذا . هذا شيء مدهش ،

يا سيدي !

(الكلاب تنيح من جديد) .

المهاجر الجديد : لن تدعى بعد الآن أنها تغنى ، أيها الحوذى . إن الغناء

مهنتي .

الحوذى : بالتأكيد ! فما سمعته منك شيء رائع (بإعجاب ودهشة)

اعتقدت أنك أسطوانة (الكلاب تنيح . بعد فترة) وعلى

كل فهي كلاب قرينتك ، تقدم نحوها ، يا سيدي .

المهاجر الجديد : (بلهجة آمرة) أحضر لي قبعتي من العربية .

(عندما يعود الخوذى ، يجد المهاجر قد وضع منديلاً فوق عينيه ، وأخذ يبكي فى هدوء) .

الخوذى : (من بعيد) منذ متى هجرت صقلية ؟ ...

المهاجر الجديد : (يبكي فى هدوء) .

الخوذى : (بعد فترة) لماذا ذهبت بعيداً كل هذا البعد ... حتى

تعود من جديد !

المهاجر الجديد : (مستمراً فى البكاء) .

...

الخوذى : (بعد فترة يقول بصوت بالغ التأثير) من ذا الذى أرغمك

على السير فوق الماء كالمسيح ... حتى تبكى الآن .

(يتخذ من حصانه شاهداً) هيه ، كوكو ؟ ...

المهاجر الجديد : (ينتفض ويقول بلهجة آمرة) أعد قبعتى إلى العربة أيها

الخوذى ! (بينما ينفذ الخوذى الأمر ، يجفف المهاجر

عينيه ويضرب يديه الواحدة فى الأخرى كما لو كان يريد

أن ينفض عنهما التراب ، ثم يقول بعوت واضح ، وهو

يتلفت حوله) فلنشاهد كل هذا عن قرب .

الخوذى : يجب أن تسرع يا سيدى ، فالمحطة بعيدة (مبتسماً)

حصانى ليس سيارة (وهو يضع إصبعاً فوق جبينه) إنه

يفكر ، يا سيدى .

المهاجر الجديدي : (يسير وسط الساحة ، ثم ينحني ويقلد حركة طفل يلعب البلي) .

الحوذي : (بصوت مؤس إلى حصانه) انظر ، إنه يلعب البلي ...
لقد عاد طفلاً من جديد . . . إن الأشجار العجوزة
تتعرف عليه . . . فقد رأته فيما مضى .

المهاجر الجديدي : (وهو ينصب قامته ، بصوت آمر ، ناهٍ) . إنك
تتحدث كثيراً إلى حصانك .

الحوذي : دائماً ، يا سيدي . إنه صديق ورفيق .. فإذا حدث واختفى
أحدنا ، فإنني أتساءل عن الذي سيقبل الصقليين
المحترمين في عربة إلى قراهم . . . كما رحلوا . . .

المهاجر الجديدي : لقد هجرت قريتي سيراً على الأقدام : أيها الحوذي .
الحوذي : سيراً على الأقدام ، يا سيدي ؟ لقد كانت العربات
موجودة في ذلك العهد . . . (مخاطباً حصانه) هيه .
كوكو ؟ . . .

المهاجر الجديدي : ولم يكن معي من رصيد على الإطلاق غير منديل أحمد
يحتوي على خبز أسود . . . والصوت الذي سمعته ، (يتقدم
ويشير) لقد رحلت عن هذا . . . (يبحث بعينه)
لا أجد الآن بيتي . . .

الحوذي : إن الريح تشتت الحجارة والندى (فترة) والبيوت تزدوي

أيضاً ، يا سيدي . . . عندما تكون في بستان (مخاطباً
حصانه) هيه ، كوكو ؟

المهاجر الجديديد : (مخاطباً نفسه ، بصوت منخفض) ما أغرب هذا ،

ما أغرب هذا ، (دون أن يدرى) هيه ، كوكو ؟

(مستدركاً . وبصوت ملئ بالأمر) هيه أيها الحوزي ؟

الحوزي : ماذا يا سيدي ؟

المهاجر الجديديد : (متجهماً نحو الحوزي) ما أغرب هذا ! إنني لا أتعرف

على الأماكن مطلقاً ، على الرغم من أنها كانت منقوشة

في ذاكرتي (يتقدم بضع خطوات ، ويشير بإصبعه)

كانت توجد هنا عين ماء . . .

الحوزي : (يشير إلى مكان آخر) ها هي ذى هناك ، يا سيدي .

المهاجر الجديديد : وهنا ، كانت تمتد بعض الأدغال حيث كنت أختبي .

الحوزي : لقد قصت يا سيدي . . قصت كما يقص الشعر .

المهاجر الجديديد : وها هنا كانت تقوم بعض البيوت المظلمة مثل علب

السجائر . هكذا كنت أراها ، في مخيلتي على الأقل .

الحوزي : حسن ، لقد دخنوا البيوت والسجائر . وهذا يحدث ،

يا سيدي .

المهاجر الجديديد : (يتلفت حوله) .

. . .

الحوذى : إيه ، دنيا ! يمكنك أن تنظر . . . كل شىء يتغير ، كل شىء يتغير ! ومع ذلك ، لا تثق بالمشاهد ولا بمظاهرها . فلا شىء يشبه الجليد أكثر من القطن ، ومع ذلك ! . . . (يسير وينظر) . . .

الحوذى : الوقت متأخر ، يا سيدى ، إذا كنا سنعود ؟ . . . لقد رأيت أجمل قرية ، وإني أهنتك على أنها قرينتك . المهاجر الجليدي : (لا ينصت ويبدو فريسة لما تثيره الذكريات من أحزان) .

. . . .

الحوذى : لا يمنع أن المكان ساحر وحزين (يأتى بحركة من يضغط شيئاً بين يديه ويضيف) ويمكن أن نقول بالإضافة إلى ذلك ، إننى مستعد لأن أقسم على أن القديس « جورج » كان يتنزه هنا أثناء ليله وأحلامه ، بعد أن يكون قد أودع حصانه الحظيرة . (مخاطباً حصانه) هيه ، كوكو ؟ المهاجر الجليدي : (فجأة) وبرج الأجراس ؟ أين هو برج الأجراس ؟ الحوذى : (يشير) ها هو ذا ، يا سيدى .

المهاجر الجليدي : إنه يسير إذن . . . لقد سار البرج ! فقد كان فى هذه الناحية من ساحة القرية .

الحوذى : بالطبع يا سيدى . . . فكل شىء يسير مع التطور .

المهاجر الحديد: (متجهاً نحو الخوذى ، يقول بصوت قاس) أين نحن ، هنا ؟ ...

الخوذى : فى قرينتك بالطبع ، يا سيدى .

المهاجر الحديد: هذه ليست قرينتى ! لقد طلبت منك أن توصلنى إلى « بلكريدى » فأين نحن ، أيها الخوذى ؟ ...

الخوذى : (لا يجيب ، ويبدو مرتبكاً) .

...

المهاجر الحديد: (ينظر إلى الخوذى ، وحينما لا يحصل منه على جواب يقول) سأعرف ذلك . (يتوجه ناحية أول منزل ويطرق الباب بقبضته . الكلاب تنبح نباحاً قوياً) .

الخوذى : عد سريعاً ، يا سيدى ... فالكلاب فى صقلية تعض ! ... كما أنى سأعترف لك بكل شيء ...

المهاجر الحديد: (يعود ببطء نحو الخوذى) .

...

الخوذى : ... وسرى إذا كنت فناناً حقاً ! ... (بعد فترة) هذه ليست بلكريدى ، يا سيدى ، إنها بلفتتو . وأنت على حق .

المهاجر الحديد: إذن لماذا أتيت فى إلى هذه القرية التى ليست قرينتى ؟ الخوذى : حباً فى الجمال ! ... حقاً ، يا سيدى (بعد فترة) إن

ما أقوله لك يشبه إلى حد ما كلام حوذى ، ومع ذلك فهو صحيح . إن أحقر المهن تكون في بعض الأحيان أسماءها ، ومهنة الحوذى هي مهنة تأمل الطبيعة . إن المرء وهو يقطع المسافات (يشير إلى العربية) بهذه التي تشبه آلة التصوير ، لا يكف عن النظر والتعلم . إن حافر الحصان ، يا سيدي ، هو الدليل الحقيقي . لقد جئت بك إلى بلفنتو لأنها أجمل قرى العالم (مخاطباً نفسه بلهجة مسرعة) ولأن ضلع « كوكو » هو الآخر ليس قوياً إلى حد كبير . . . ولكن هذا أمر ثانوي (مخاطباً حصانه) هيه ، كوكو ؟ (بعد فترة) لقد قمت من أجلك ، بهذا الاختيار يا سيدي .

المهاجر الحديد : (ينصت مندهشاً) .

الحوذى : (يستطرد)

منذ عدة أيام ، مثلاً ، جئت من المحطة بمهاجر ، قال لي : « أوصلي إلى كورليتو ، لدى وقت بسيط جداً » . وفي الطريق بينما كان حصاني يعدو ، فكرت هكذا : قرية بقرية ، ما دمت سأريه أجمل قرية في المنطقة . ولما كان الوقت ليلاً ، وكان هو في عجلة من أمره ، ولكنه كان بشوشاً ، قطعت الطريق عبر الحقول ، تاركاً كورليتو

أمامي وتوقفت هنا بالضبط . وعندما نزل من العربة ، أخذته النشوة . وراح يتطلع حوله طويلاً ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، وراح كالأعمى يتحسس كل شيء بيديه . وعندما حانت ساعة الرحيل ، تصور : رفض . فتركه بالقرب من هذه العين . (فترة صمت) أما هو ، فلم يكن يخشى الكلاب . (بلهجة تتفق ومهنته) ولا بد أن أوتوبيس « فيرتا » قد عاد به في الصباح . (فترة صمت) ولا شك أنه قد صفح عني الآن .

المهاجر الحديد: وهكذا تتصرف في الدروب ، مثاماً تتصرف في الطرق والبقاع ، وكذلك في مصائر الناس ؟ وتسنج منها بعد ذلك ، أيها الحوذى ، حكايات وحكايات !
 الحوذى : معذرة ، معذرة ! . . . إننى آخر أصحاب العربات ، يا سيدى ، ولقد أعطيت الألووية . . . لكل ما هو جميل . ورجل مثلك لا بد أنه يدرك ذلك .

المهاجر الحديد: هأنذا بصحبة كوكو في قرية ليست قريتي (يقلد الحوذى بطريقة طريقة) هيه ، كوكو ؟ وبصحبتك أيضاً ، سيدى الحوذى . . . حباً في الجمال ! (يرفع ذراعيه إلى السماء) لأدرى إذا كان يجب على أن أبتسم أو أن أغضب . (يبدو أنه قد اتخذ قراره ، فيضحك

ضحكة قصيرة ، ثم يقول بعد فترة ، وهو لا يزال متطيراً)

تقول إن القديس جورج يتنزه هنا ، أثناء الليل ؟

الحوذى : نعم يا سيدى . والاثنا عشر رسولاً أيضاً ، عندما يتبسطون .

المهاجر الجديديد : وما اسم هذه القرية ؟

الحوذى : بلقنتو .

المهاجر الجديديد : إنها رائعة للغاية حقاً . (ساعة البرج تدق ثلاث دقائق)

هذه الساعة ليست مضبوطة ، أليس كذلك ؟

الحوذى : كلا ، يا سيدى ، فقد أكلها الصدا . ولكن الأجراس تريد بأى ثمن ، أن تسمع الناس صوتها .

المهاجر الجديديد : (بحنين إلى الوطن ، مخاطباً نفسه) فى « بلكريدى »

عندنا ، نتيجة لعدم وجود ساعة . . . رسموا ساعة على

البرج حيث الوقت دائماً إما منتصف الليل أو منتصف

النهار : وقت النوم أو وقت الأكل . . (يضحك بركة ،

ثم يقول حالماً) صقلية العزيزة !

الحوذى : (متأثراً) غداً ، سندهب إلى « بلكريدى » لنرى الساعة

معاً .

المهاجر الجديديد : لم يعد لدى الوقت ، مع الأسف ! أيها الحوذى .

فبعد غد سأغنى فى « ميلانو » . وبعد ذلك . . .

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٩